إيهاً فاطمة

تراتيل في زمن مقهور

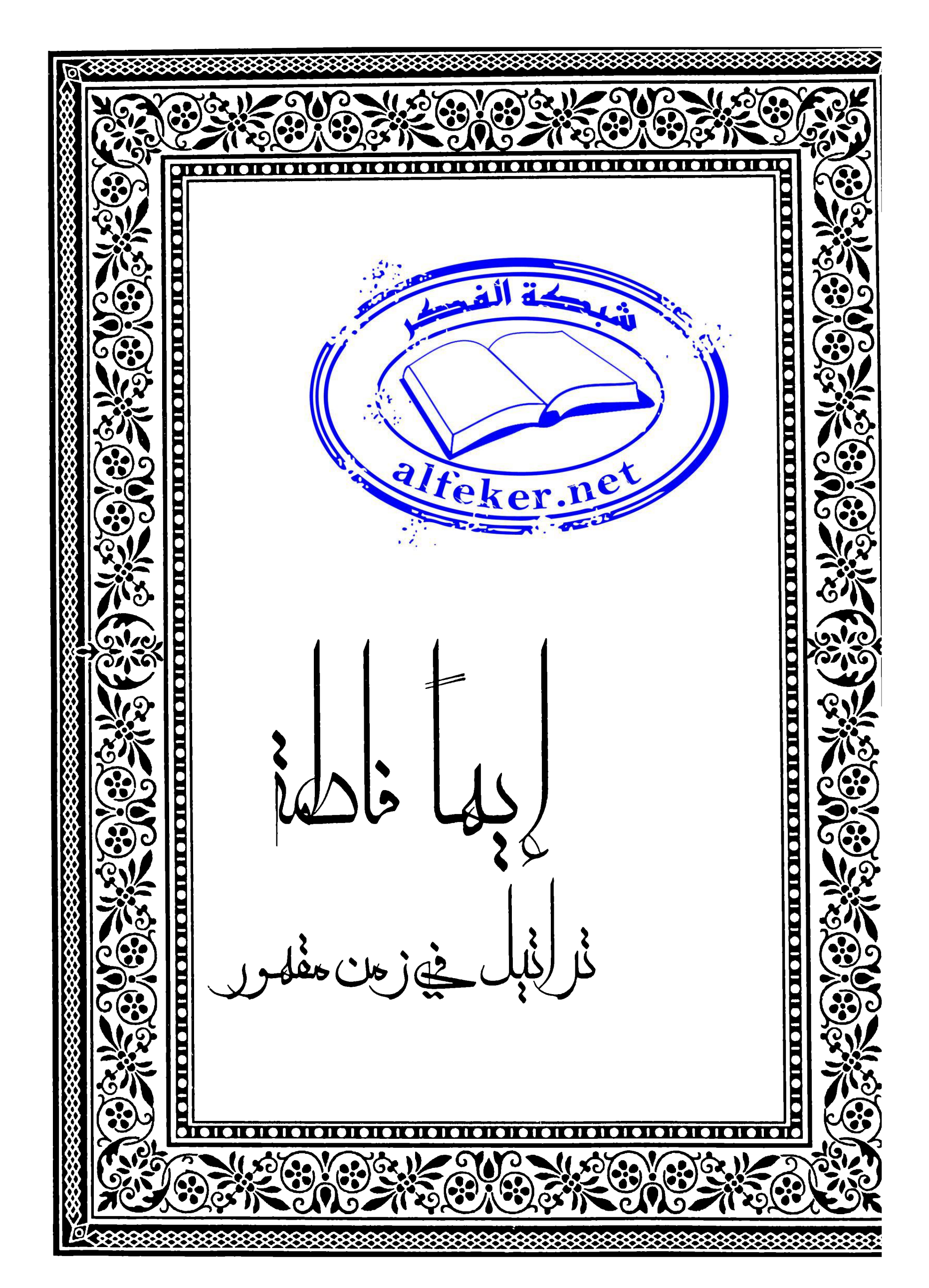
تأليف
السيد محمد علي الحلو



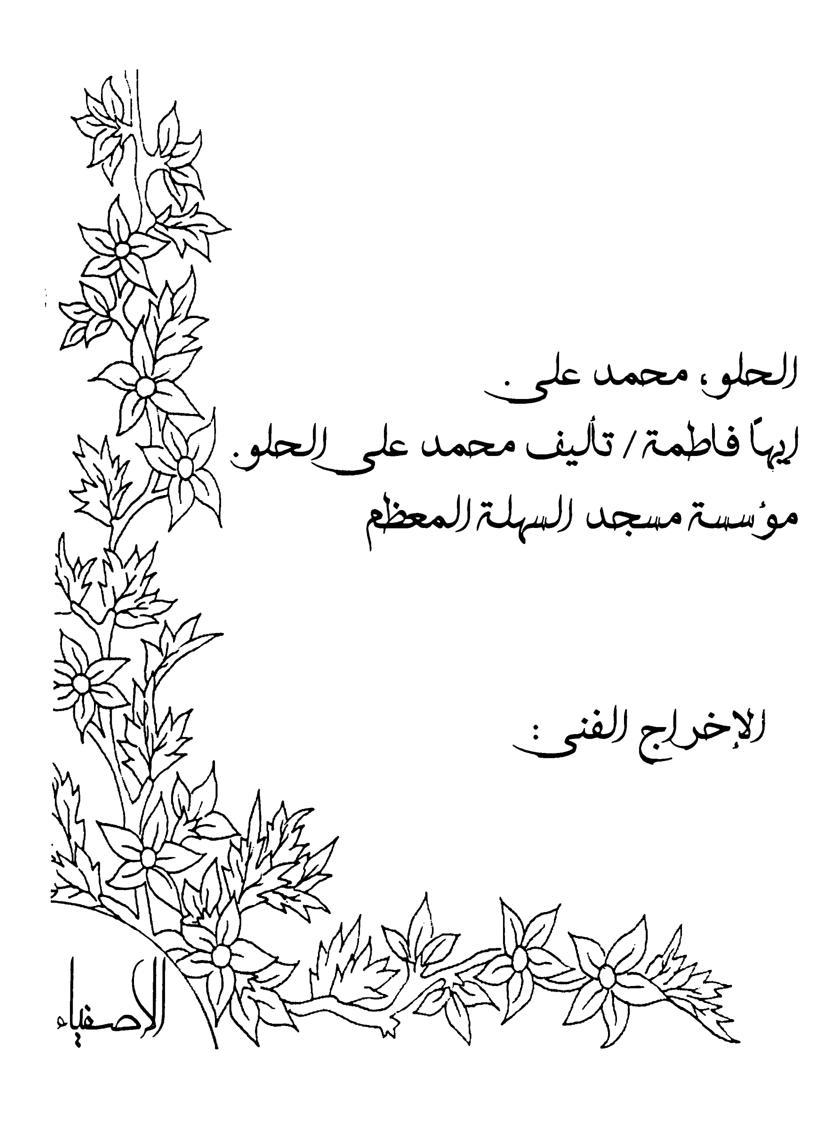








شبكة الفكر
alfeker.net
إيها فاطمة
تراتيل في زمن مقهور

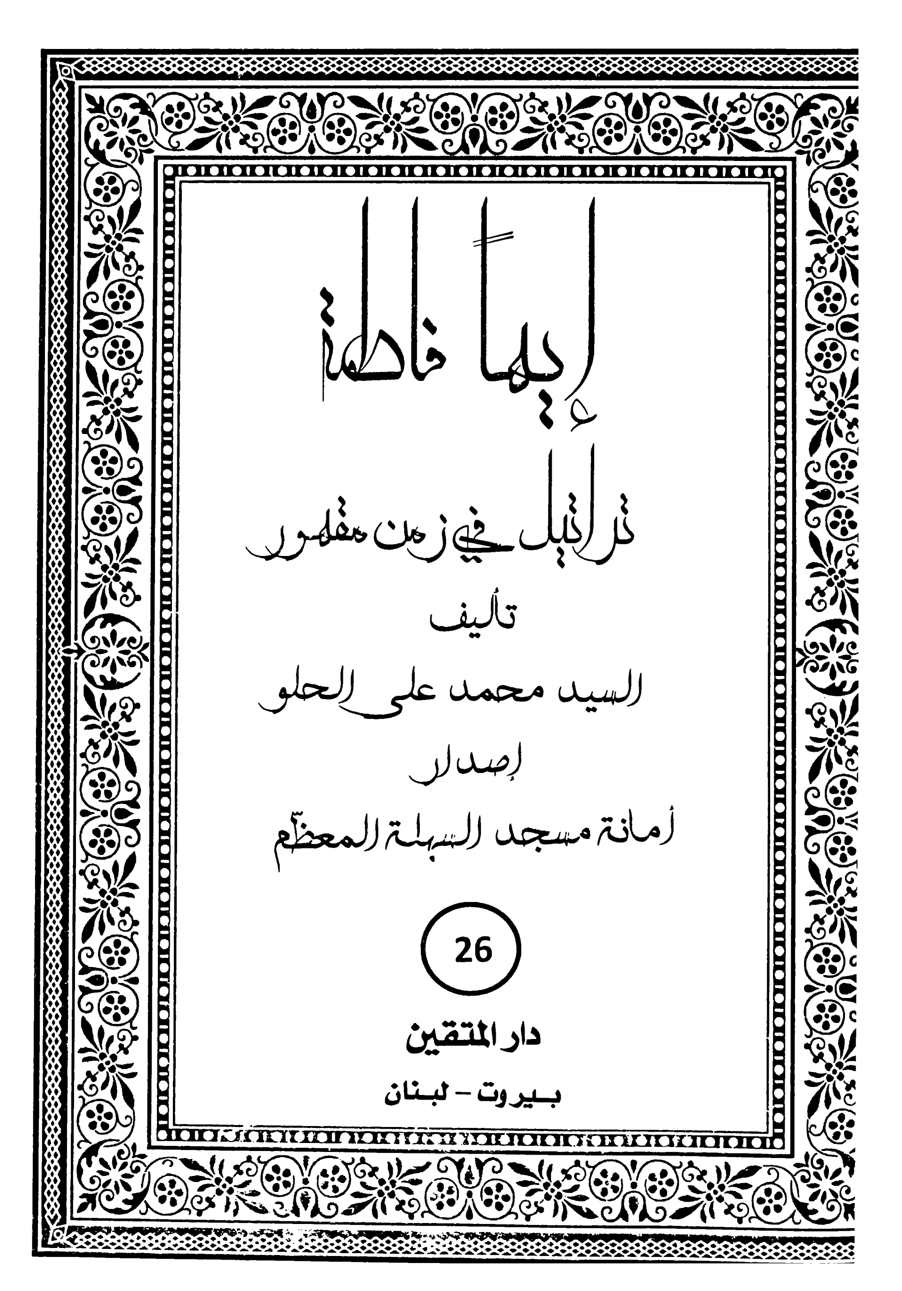


الحلو، محمد على.

ايهاً فاطمة / تأليف محمد على الحلو.

مؤسسة مسجد السهلة المعظم

الإخراج الفني:



إيهاً فاطمة

تراتيل في زمن مقهور

تأليف

السيد محمد علي الحلو

إصدار

أمانة مسجد السهلة المعظم

26

دار المتقين

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ_٢٠١٣م



العراق: النجف الأشرف_ أمانة مسجد السهلة المعظم
قسم التحقيق_ هاتف: 07807688181
E-mail: mosque@alsahla.org
www.alsahla.net / www.alsahla.org

تنفيذ طباعي
دار المتقين
للثقافة والعلوم والطباعة والنشر
بيروت لبنان ــ طريق المطار
مفرق مطعم الساحة
بناية شاهين ط ١
٠٠٩٦١٣٩٥٣٦٢٢
Email: walialah@yahow,com

الإهداء

إليكِ سيدتي..

فإن الروح تحتسي الذكريات..

لكنها ممزوجةٌ بشذاكِ القدسي

تقرؤكِ وهج النبوة في عنفوان الإمامة

بريقاً متألقاً في أملٍ موعود..

فإليكِ سيدتي نفثاتُ هائمٍ

بجلالكِ الأبدي..

ساجداً في محرابكِ بتراتيل الألم

ينعاكِ شهيدة الملاحم..

إليكِ يا أم «المحسن» أنشودةَ الحزين..

فاقبليها مثقلةَ الشوقِ.. جياشةَ الضمير..

محمد علي

كلمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

لم يخلق الله عزوجل امرأة أفضل من الزهراء عليها السلام، ولامخلوقاً أفضل منها بالنسبة إلى جنس النساء بما فيهنّ الحور، وهذا مما تواترت به الروايات ، وفي الحديث القدسي عن جبرئيل قال: «يا محمد إن الله جل جلاله يقول لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك كفوء على وجه الأرض، آدم فمن دونه»، وهكذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام امرأة مثالية تفوق جميع نساء العالم من الأولين والآخرين وهي أسوة لجميع النساء، وهل هنالك امرأة تتمكن ان تدعي مثل هذا الادعاء؟ فهي عليها السلام السباقة إلى كل الفضائل وجميع الحسنات.

واليوم ينبري صاحب السماحة العلامة السيد محمد علي الحلو _ دامت بركاته _ ليكتب عن سيدة نساء العالمين عليها السلام..

ليخاطبها.. ليقرأ أمام مقام عظمتها آيات الولاء

والعرفان والتمسك بالحوراء الإنسية في هذه السطور التي ضمها كتابه «إيها فاطمة»، فجزاه الله الجزاء الأوفى.

وإذ تبنت «مؤسسة مسجد السهلة المعظم» نشر الفكر الإسلامي الأصيل، فيسرها أن تقدم للقارىء الكريم هذا السفر القيم للسيد الجليل، سائلين لسماحته ولنا أن نكون ممن تشملهم شفاعة أم أبيها سيدتنا ومولاتنا الزهراء عليها السلام.

مدير مؤسسة مسجد السهلة
الحاج احمد رزاق
عبد الحمزة الجنابي

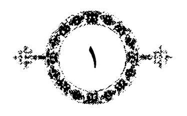
مُقَدِّمَة

أخذت مني قضية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مأخذاً واسعاً حتى كدتُ أوظف كل مجهودي لها، لولا ما أرى من ضرورة مواصلة البحوث الأخرى لأوقفتُ نفسي لهذا المضمار، ولعل الكتابة عن السيدة الزهراء عليها السلام يُعدُّ فنّاً قائماً بذاته يحتاجُ إلى الغور في أعماقه حتى نصل في بعض جزئياته، فالتجربة الفاطمية أغدق على الإبداع لوناً آخر «تنزفُ» منه عواطف الكاتبِ وهو يبحرُ في بحرٍ هائج من مشاعر المظلومية التي تتركها قضية السيدة الزهراء عليها السلام شخصيته، لذا فإنه يسعى للتعبير عن مخزون أفكارٍ تعتركُ في مخيلته لتخرج ابداعات فكرٍ، وإرهاصات تغييرٍ جديدٍ ضمن انعطافات الحركة الأدبية والفكرية، وقد وجدتُ في كتابتي عن السيدة الزهراء أن إضافة إبداع تجتذبُ الكاتب ليودعها في جهده، ومسحة التجديد على معالم عمله، لذا فإن الجهد الثقافي والفكري في المضمار الفاطمي يمتاز

بابتكاراتٍ غير معهودة يدفعها عظمة السيدة عليها السلام وقضيتها التي تمثل كل القضايا الإسلامية.. وها أنذا أقدّم نموذجاً من تراتيل تعتلجُ صدري، فأودعتها في وريقاتٍ لتتناغم وبعض أوراق القراء الذين دعتهم الضرورة الأدبية إلى مواصلة مشوار البحث، فبحثتُ معهم على نسق الأدب وإثارة العاطفة، وأجدني خضتُ في غمارٍ جديدٍ من البحث يحكيه الأدب وتجلله نفثات شوقٍ فاطمي أدخره ليوم حشري شافعاً وشفيعاً ولوالديّ ولجميع أحبتي..

ذكرى شهادة الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام

السيد محمد علي الحلو



هذه هي نفثاتُ مصدورٍ..

إحتكمَ إلى سيرتكِ أيتها السيدة السرمدية..

ليقرأكِ ملحمة فصولٍ تونقُ ثمراتها في عطاءٍ يتصدره أبوكِ ويختمه ولدكِ خاتمُ الاصفياء..

وأنتِ أيتها الشهيدة الشاهدة لملاحم الزمان..

يبعثكِ أبوكِ صديقةً تتسربلين في رونقٍ يحكي أبهةَ النبوةِ ممزوجةً بشذى الامامةِ الأبدية..

ايهاً فاطمة..

إستزادةٌ لسيرتكِ يا خير النساء..

عطاء موفورا..

إيهاً..

حسبكِ ما وصفتكِ لكن..

يا بنت خير المرسلين لم أبلغ شأوَ قدسكِ النوري..

فإنه المنبلج من ثغرات سيرتكِ إنشودة الأمل..

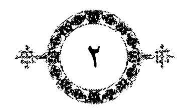
حسبكِ «يا أم»..

فان أولادكِ يتربعون على عرش ذكراكِ لتلوّحين لهم شارة النصر..

فان المشوار بعيد..

وان النصر لآتٍ..

«أليس الصُبح بقريب»؟!..



إيهاً فاطمة ..

فبين الضلوعِ جوى الذكرياتِ لترعى يومكِ الفاطمي بكلِ أمومته النبويةِ، يوم كان أبوكِ يقوُم لكِ إجلالاً، ليقبّلكِ بين عينيكِ..

بل يديكِ..

ولم لا يا أم أبيها؟ فإن محمداً اليتيم يستشعرُ الغربةَ من فراغِ الأمومةِ المحرومةِ منذ سنيهِ السبع من عمره الشريف..

ولم لا يا أم أبيها، بل يا أم النبوةِ وهو يتلمسُ في يديكِ دفء الحنانِ، كما كان يتلمسُ حنو خديجة في وريثتها الوحيدةِ، وهي ترعى محمداً الزوج كما ترعى محمداً النبي..

واليوم يا ابنة خديجة، تمسحينَ جراحاتِ الأبِ المكلوم في وعثاء السفر الطويل، ليبلّغ رسالةَ ربهِ على مدى ثلاثةٍ وعشرين عاماً..

كما أنتِ يا ابنةَ خديجةَ تُزيحينَ عن أبيكِ النبي بعضَ ما يعيقهُ من عقباتِ المواجهة مع قومه، بل كل عقباتها..



إيهاً فاطمة..

يا بنتَ المصطفى..

يا ابنةَ الرسالةِ..

هذا أبوكِ يا بنتَ خير الآباء يرمقكِ نظرةَ الوداعِ الأخير، ليودعكِ مهمتكِ الجديدة..

أجل يوسعكِ لثماً يا شذى الفردوس..

يا ثمرةَ الجنةِ..

يا عبيقَ العروجِ الى سدرةِ المنتهى..

يا وديعةَ الله لأهل هذه الأرض..

يا جلالَ الكلمةِ..

يا جمالَ الروحِ..

وأخيراً يا سرَ الله..

هذا أبوكِ يضمكِ إلى صدرهِ الذي اختزنَ أسرار المسيرة النبويةِ بكلِ تفاصيلها..

ليحيلك أماً ثانيةً..

ليبعثكِ فاطمةَ الإمامةِ كما أنتِ..

فاطمةَ النبوةِ..

يا فاطمة..

يا صدّيقة..

يا كلمةَ الجهاد..

يا موقفَ التحدي..

إن مهمةَ أمومتكِ الآن ستبدأ مع عليٍّ..

الإمامِ..

الخليفةِ..

الموتور بما تختبئه أيامهُ الحُبلى بكلِ مكيدةٍ..

ها هو محمد..

النبيُّ..

الرسولُ..

الإنسانُ..

أبوكِ يا فاطمة..

يعتصرُ يديكِ في لحظاتهِ الأخيرةِ كما يعتصرُ قلبهُ ألم فراقك..

يا وحيدةَ النبوةِ..

يا جذوةَ الرسالةِ..

يا بريقَ الذكرياتِ بكل ألمها وأملها.

يا أمل محمدٍ في ماضيهِ العتيد، ومستقبلهِ المشرق..

هذا أبوكِ يا بنتَ خيرِ الآباء يغمضُ عينيهِ على سرٍ أودعهُ فيكِ ولكِ ومنكِ..

هذا أبوكِ يرتقي إلى الفردوسِ الأعلى يا فردوسَ الأرض..

ليبعثكِ في رسالتهِ أملَ الإمامةِ..

سِرَّها..

مستودَعَها..

أنتِ يا فاطمة..

هاتِ يا زهراء..

حزمةَ الصبرِ المودعِ لديك..

بريقَ الأملِ في عينيكِ الحمراء..

شموخَ الرسالةِ المنطويَ في أضلاعكِ..

المهشمةِ..

ابنُ أبي طالب سائرٌ في مهمتهِ يا سرَ الإمامةِ..

يستميحكِ عُذراً يا فاطمة..

فإن معاناتكِ تثقل ظهره المكسور..

لا حيلةَ لمفجوعٍ بالمصاب..

مقهورٍ بالأحداث..

أن يفتحَ لكِ صدرهُ ليلقي لكِ هموم المهمةِ، وأحزانَ المسؤوليةِ.

ابنُ أبي طالب سائرٌ في مهمته يا سر الإمامة..

فأنتِ الوحيدةُ في هذه المسيرةِ الطويلةِ..

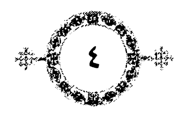
لكن القصيرةِ من ربيعكِ الجميل..

رفقاً يا فاطمة..

كما أنتِ..

فالإمام اليوم ممتحنٌ وسطَ عاصفةِ التحالفاتِ التي أردَته وحيداً في ساحة المواجهةِ، كما ستُرديهِ مخضوبَ الرأسِ بعد سني الصراع المرير..

في محراب الجهاد..



إيهاً يا فاطمة..

يا أم أبيها..

يا جذوةَ النصرِ..

يا شعلةَ التحدي في نظر عليٍّ الممتحن..

هذا عليٌّ الصبور..

يستشفعُ بصبركِ..

يا وحيدةَ النساء..

يا سيدةَ النساء..

يا مثيلةَ مريم..

حيث جاهدتْ بطهرِها من أجل عيسى النبي..

عيسى المعجزةِ..

تتحدى بخطى الإيمان ما قيل في الطاهرةِ البتول..

فإنها أم عيسى لا أخت هارون.. فإنَّ قوم السوء لم يثبّطوا من مهمة الدفاع على رسالة عيسى النبيَّ..

الوليد الوحيد في معتركِ الصراع..

هكذا أنتِ يا بتولْ..

يا مريمَ محمد..

بل يا مريمَ علي..

ولم يوهنكِ أهل الخذلان..

فإن الحجةَ البالغةَ لكِ يا بنتَ رسالةِ السماء..

لم تُسلمي علياً المقهور بتحالفات أولئك النفر..

فبنوا قيلة لم تستنهضهم خطبكِ العتيدةُ..

ولم يزحزحهم توبيخكِ..

فلا عذرَ لهم إلا أنهم لم يدركوا ما تقولين؛ فبلادة العقول أذهلتهم عن السماع..

فعزاؤكِ يا فاطمةُ أن خطبتكِ بلغت أسماع التاريخ..

وجدانَ الماضي..

ضميرَ المستقبلِ بكلِ ما يحملهُ من بريقِ الأملِ..

بل بريقِ النصرِ لصوتكِ الزاحفِ عبرَ تاريخٍ منكوسٍ..

أو قل تاريخاً مقهوراً..

تكتبهُ أقلامُ المتزلفين..

لم يوقف زحفكِ يا فاطمةُ تاريخٌ أهوجٌ..

فإن التاريخَ اليومَ ينفضُ عن أطرافهِ غبارَ الخديعةِ وزيفَ التزوير..

أجل فتاريخ اليوم لم يكن أَصَمَّ..

بل استرقَ السمعَ طوالَ سنينَ عجاف ليستمعَ إلى خطبتكِ النبويةِ يا ابنة خيرة الأنبياء..

وليسمعها إلى أولئك الذينَ تشدّقوا بتاريخٍ مقهورٍ..

ممتحنٍ غيرِ رشيد؟..

لم تصمَّ خطبتكِ آذانَ الدهرِ فإنَّ آهات المحرومينَ تنزفُ بجراحاتها لتسمعَ دهراً أخرستهُ أحداثهُ..

لتسعَ خطبتكِ بلسماً يضمدُ نزيفَ الجراح...

الصامتة بهمسات الشوق السرمدي..

فإنَّ أبيك الذي يحضره أجل السنين "الستين" يلقي إليك نبأ الرحيل الثاني..

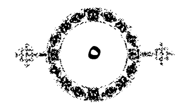
بعيده بقليل..

ليبقى عليّاً وحيداً..

فليبقى وحيداً تهجره عاديات الأهوال..

لكنه هو ذاك الراسخ في أرض الصبر المحمدي المنجز لخارطة طريق الخلود..

هذا هو علي؛ وحيداً بعد حكمة الاختبار..



إيهاً فاطمة..

وهل يغيب عن ناظري ذلك المحفل المقدس الذي ضمكم أهل البيت؟..

وكيف أنسى سيدتي وأنتِ تمدين الطرف الخاشع نحو الباب ليطرقَ مسامعكِ ترنيمةُ الصوتِ الأبويِ الذي تشتاقين إليه في كل لحظةٍ من لحظاتكِ الموجعة..

تتشوقين لرؤية البدر المحمدي الذي يضيء لكِ..

وأنتِ وحدكِ بعد فراقكِ خديجةَ سيدةِ الأمهات وهي تحملكِ على صدرها الموتورُ من حربِ القرشياتِ اللواتي ورثنَ العداءَ من حفنةِ الكفرِ المستباح على أخيلة الكبرياء القبائلي، الذي ما انفك يلازم أصحابه منذ أن تفجرَ غار حراء بنور «اقرأ بسم ربك الذي خلق»..

فكانت حرباً شعواء يعلنها النظام القبائلي ضد المبعوث، ابن أمِ القرى الذي عرفوه أميناً كما هو: صادقاً، وحقاً كما هو عدلاً،

وكانت قريش تصدح بفخر محمد الأمين، ذلك الفتى الذي ما رأت مثلهُ عيون قريش التي أرمدتها أحقاد الطغيان، ولا أنِستْ بمثله نفوسهم المنكفئة على الظلم والعدوان..

وكانت خديجة رفيقةُ "محمد" في ذلك الدربِ الطويلِ، تُنافحُ بكلِ كيانها العتيد من أجل "محمد" الزوج، ثم "محمد" النبي..

وكم كنتِ أيتها البنتُ البارةُ بأبيكِ تتمثلينَ بخديجةَ سيدة النساء..

فأنتِ الحريصةُ الوحيدةُ على أبيكِ المقهورِ من عادياتِ الزمنِ..

المنهكِ من تفاصيلِ الحياةِ التافهةِ التي تثيرها بعض أزواجه، بل كلهن..

إيهاً سيدتي..

إنكِ تمدينَ الطرفَ لتستقبلين أبيكِ المتعبَ من ضنكِ الأيامِ المملوءةً بمغامرات الغدرِ والنفاق..

ها هو أبوكِ وقد أحس ضعفاً ببدنه الشريف ليستريحَ عندكِ بعضَ يومٍ..

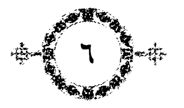
ثم ليكون محفلاً قدسياً تحتفل به السماء..

وأنت يا بنت المصطفى وقد التحف ولدكِ الحسن بكساءٍ يماني مع جده المصطفى ليدخرهُ حُلماً يعبر فيه مسافات الزمن ليرى ابن آكلة الأكباد وقد وخزه في كبده الطاهر بسُمٍ معهودٍ يعالجُ فيه الأزمات فيبعثهُ رسولَ المنيةِ لكلِ معارضيه..

هكذا يغمضُ أبوكِ عينيهُ الحزيتنينِ ليفتحهُما على ولدكِ الحسين وقد اندسَ تحت الكساء ليلتحقَ بجدهِ وأخيهِ وقد آنسته نظراتُ النبي وهي ترمقهُ بنظراتِ الشوق والانتظار..

وها هو الحسين يدخل مزهواً بحبِ جدهِ تحت كساءِ الرحمةِ ليتمتمَ مع جده وصايةَ الحفيد الذي ادخرهُ في ذاكرةِ الغيب موتوراً بولدهِ وصحبهِ على عرصات كربلاء، مخضباً بدماء الشهادة والفداء، ليكفكفَ دموعَه الشاخصة إلى أمه الموعودة بما وعد الله جده في الحفيد "الشهيد"..

فيعزيها بنظرات الاحتسابِ وكلماتِ الوعدِ الحق..



إيهاً فاطمة..

يا شذى الكلمات..

يا عطرَ الوحي..

يا فخرَ "محمد"..

بل يا طهرَ السماء.. هذا علي مؤتزر الصبر..

يتجلببُ في صونِ الرسالة..

في عز المحنة..

في شفاعة المهمة القادمةِ من أقاصي الغيبِ تنبئه بالفتنِ كما تنبؤه بالصبر..

هذا علي يشفقُ عليكِ أيتها الطهرُ أن ينالكِ سوءُ التدافعِ على سلطة السقيفةُ ليراكِ ملتحفةً محنةَ الدفاع عن حق الله..

حق الرسالة..

بل حق الوصاية..

هذا علي. أيتها الطُهرُ اليافعُ في بحبوحةِ القدسِ السرمديِ كأنكِ تفاحةَ الفردوسِ في أنفاسِ "محمد"..

ثم ها هو يلثمك ابوك كل حين ليشم منك رائحة المعراج يوم اعتلى صهوة البراق في وسط الجنة..

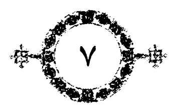
فما لكِ ولهؤلاء..

صعاليك السلطة وخفافيشِ العقبة يتدافعون بدبابهم ليغتالوا أبيكِ في ضنكِ الأحداث؟..

ما لكِ ولهؤلاءِ فَهُم سقطاتُ الصدفِ الموهمةِ بتاريخٍ يُثيرُ الريبَ، بلْ يحتِّم اليقينَ من أن الحقيقةَ يغتالُها قناصو فرص السقيفةِ ليؤججوا الأحقاد..

هذا هو عليٌّ يحملُ في اشراقتهِ ذكرى الماضي وحكاياتِ المستقبلِ، وتطلعات القادمِ من النصرِ المحتوم..

هذا هو عليٌّ ثالثُ المدعوّين تحت الكساءِ يدخلهُ شوقُ النبيِّ ترقبه تحتَ كساءِ المحفل السماويّ العظيم..



إيهاً فاطمة..

يا بنتَ الوحيِ..

يا أم التنزيلِ..

يا عطاءَ الكوثرِ في "إنا أعطيناكِ"..

يا بهجةَ الملكوتِ في قدس ثغرك الأبلجِ..

يا زَهو الكونِ في عينيكِ الحمراوينِ القادمتينِ من محطِّ الأحداثِ الثقيلةِ..

يا عُصارةَ النبوةِ..

يا رشفةَ الصادي..

أبيكِ المثقلِ بالأحداثِ..

يا نبعةَ الحورِ لتستميحكِ عُذراً أن ترتشفَ من رحيقكِ القدسي لتولدَ كل حور العينِ فترتعدَ من وجهكِ الزاهرِ استحياءً..

لأنها منكِ بل بعضٌ منكِ..

يا بريقَ الأملِ في حشرجةِ الموتِ الأبدي ليستفيقَ مذعوراً من عزمةِ الصور..

ثم يا أمل الحياةِ بعد أنْ تصعقها أنّاتكِ الموجعةِ في نفثاتِ الصورِ..

يا حُزمةَ الصبرِ..

يا زهوَ الصبر وأُعجوبتهُ..

يا فخرَ النبوةِ..

هذا أبوكِ يدعوكِ بنظراته المتعرجةِ من حزنِ الأحداثِ القادمةِ..

يا مشكاةَ القدسِ قومي فأضِئي جنباتِ بيتِ "عليٍ" فقد أشرقتْ فيه شمسُ النبوةِ..

أضيفي إلى فخرهِ فخراً وإلى محياهُ ابتسامةَ الأملِ الموعودِ..

وارسمي على وجههِ النَّصرَ المحتومِ..

هذا حسنٌ يرمقكِ بنظرة الأحداثِ الموجعةِ لتتمتم شفتاهُ كبداً ملفوظاً يحكي ملحمةَ الزمنِ الغادرِ في خضمِّ النَّصر المؤجَّلِ الى حينٍ..

لكنهُ..

المحتومْ..

هذا هو مجتباكِ المقهورُ بينَ غدرِ عدوهِ..

وغدرِ بعضِ صحبهِ..

هذا هو الحسن المسموم يتلفلفُ بعباءتِكِ السرمديةِ على مرِّ الدهورِ..

وقد كساه جدُّه بيماني مرجَّلٍ..

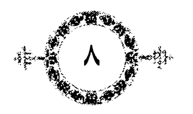
يعتنقُ الحسينَ مخضباً بدماءِ النصرِ..

مفجوعاً بأبدِ الشهادةِ لأنها أبديتهُ الخالدةُ..

هذا هو الحسينُ ينتظركِ يا خامسة الكساءِ..

يا زهوَ الكساءِ..

ليضمكِ إلى أربعةِ المجدِ الخالدِ في سماءِ الملاحمِ القُدسيةِ..



إيهاً فاطمة..

يا زلال الماء الكوثري..

يا شجرةَ الخلود..

يا عبقَ الحياةِ..

يا نبعَ الحياةِ..

بل يا كلَّ الحياة..

لأنكِ خلاصةُ الأنبياء حيثُ المعصومينَ من أولادِكِ سيواصلون مسيرةَ التكاملِ عند نقطة الالتقاء..

وحين تتلمسينَ جراحَكِ القدسيةَ تواصلين الحديث..

وترسمينَ الصورةَ، وها هو جبرئيلُ الوحي يهبطُ مُستأذناً من ربِّ العزةِ، ثم مستأذناً من أبيكِ ليكونَ سادساً..

طوبى لكم أهلَ الكساء: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»..

وأنتِ يا فاطمة يا خامسةَ أهلِ الكساء..

يا واحدةَ النساءِ..

بل يا وحيدةَ النساءِ أنتِ الآن قطبُ الكساءِ بين نبوة أبيكِ وإمامة بعلكِ المزهوِّ بتراتيلِ السماء..

وترانيم الغيبِ تنشدُ أنشودتها الأبدية على مسامعِ الدهرِ لتقول:

لم يخلق الله سماءً ولا أرضاً ولا قمراً ولا شمساً ولا فُلكاً ولا بحراً..

إلا لهم وفيهم وبهم..

فهي من أجلكم أيها السادة الأطهار..

ولمحبتكم يا علة الأكوار..

فاستشفعوا للمتوسلينَ بكمْ..

تستنزلُ بذكركمُ الرحمة..

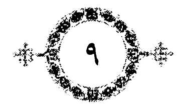
وتُفرجُ بكمُ الكروب..

ويُكشفُ من أجلكم الغمَّ..

ويرتفعُ باسمكم الهمَّ..

ثم هو الفوزُ والسعادةُ الأبديةِ..

كما أنتم أهلُ الفوزِ والنجاحِ..



إيهاً فاطمة..

يا بنتَ السماءِ..

يا فخرَ السماءِ..

هذا أبوكِ يأتمرُ بأمرِ السماءِ..

لتقترنينَ بعليٍ أعجوبة السماءِ..

فإنَّ خاطبيكِ يتبجحون بقربٍ موهومٍ..

تفضحهم سننُ السماءِ..

وها هم في لحظةِ الإحراجِ يتوخون القربَ وقدْ أصابتهم هواجسُ خشيةَ التخطي من شرفٍ أبديٍّ موسومٍ بوسامِ النبوةِ..

وجلالةِ النسب المحمدي..

ولم يعرفْ هؤلاءِ قدرهم..

فقد تجاوزوا الحدود ثمّ تجاوزوا الحدود..

حتى ظنوا أنهم مؤهلون لهذا الشرفِ الباذخ..

ولذلك النسب التليد..

وأنتِ يا سيدةَ النساءِ تُحصنُكِ السماء من دواعي المنافساتِ القبليةِ..

فهذا أبوبكر أحد التيميين، وذاك عمر من شتاتِ العَدَوِيَّين وهذا عبدُ الرحمنِ بن عوف أحد متاجري المال والأحداثِ يتقدمون لمصاهرة النبي منكِ أيتها الطهرِ فتزجرهم السماء، وتوقفهم عند حدودِ الأدبِ فتنهاهُم عن مراجعةِ أبيكِ المقهورِ من تحدي هؤلاء لمقاماتِ السادة الأصفياء..

والهداة الأولياء..

إنه أبوكِ يأتمرُ بأمرِ السماءِ بعد انتظارٍ ليس بالطويل ليعلنَ أن لا كفؤَ لفاطمةَ إلا عليٍ..

ولا كفؤَ لعليٍ إلا فاطمةُ..

فلا فتى إلا علي ولا كفؤَ إلا فاطمةَ..

ولا ضيرَ يا أم أبيكِ..

فإن القومَ قد عرفوا أنفسهم بكِ أيتها الجلالُ المطبقُ على تحدياتِ القبائليةِ المنزوعةِ من كبرياءِ المدعياتْ..

فإنك أيتها الطهر ويا خلاصةَ الطهرِ تفضحين مدّعيات القومِ في كل شأنٍ من شؤونكِ..

وأنتِ يا أم الأوصياء نقرؤكِ أحداثَ السماءِ..

وهاجسَ النبوةِ يوم عزّ النصيرُ لنبحثكِ ذاتاً جديدةً في زحمة الأحداثِ المتلاطمة..

وكم أيتها العظيمة قرأناكِ أحداثَ الماضي كما أنتِ ندى الذكرياتِ..

لكنِ الآتيةِ بعد حين..

وهذه السماءُ تجمعكِ مع عليٍّ ذلك الفتى الملحمي..

لأنه يعيش ملحمةَ الفداء كما أنكِ تعيشين ملحمةَ الطهرِ ..

وهذا عليٌّ أيتها السيدةُ الملفوفةُ بجلبابِ النفحاتِ القدسيةِ يقف عند بابكِ يستئذنكِ الدخولَ برعاية السماء فإن أباكِ يحتفل كما يحتفل الوحي بهذا الاقتران الملكوتي قبل حين..

وأنتَ يا ختنَ النبوةِ ويا أول الإمامةِ نقرأكَ في تضاعيف الأحداثِ المتراكمةِ منذ أولِ الوحيِ..

والمتناثرةِ في شظى الذكريات، فإنَّكَ عليٌّ صانعُ الخلودِ العلوي ترفرفُ عليكَ فراشةٌ بيضاء تمزج نورَ النبوةِ بسنا الإمامة..

هذا هو وسامكِ أيتها السيدةُ المحمديةُ العلوية فإنكِ تصنعين اليومَ تاريخ الأجيالِ..

هذا هو قدرُكِ يا قدرَ النبوةِ وبريقَ الإمامةِ بل يا قدرَ الأجيالِ الناهضةِ إلى ربى الكمالِ الأقدس..

فإنكِ أيتها السيدةُ الخالدةُ تحيطكِ رعايةُ الربَّ كما تحيطكِ نظراتُ أبيكِ المزهو بتمائمِ الغيب الفاطمي..

حتى يستذكركِ بأنكِ وحيدة النساء..



إيهاً يا فاطمة..

فإن نظرات أبيكِ لم تنقطعْ بعد..

فهو يتابعكِ نظرةً بعد نظرة تعقبُها عبرةٌ بعد عبرةٍ..

وهذا أبوكِ يا أم أبيها يُقدِّسُك بنظراتِ الوداع وهمساتِ السر المحمدي..

إنكِ ترمقين أبوكِ بعبراتٍ لم يقرأها الا هو..

لأنه أبوكِ المقهور بما سيجري عليكِ يا مستودعَ الأسرارِ..

يا فاطمة..

يا ندى الذكرياتِ العاصفة بالذاكرة المستسلمةِ لقضاءِ الله..

ها هو ذا محمدٌ النبيُّ المنزعجُ بما يراه من قومه المتمردين على دعوةِ السماءِ..

ها هو ذا يقرأُ الأحداثَ المتلاطمةَ..

أو المتنازعةَ بين صخبِ التسابقات المستحضرةِ كُلَّ آتٍ..

ها هو أبوكِ يأخذُ بيديكِ ليضمك الى صدرهِ المتوجّع يا خزانةَ الأسرار..

ليلقي إليكِ سرّ الرحيل مستودعاً إياكِ صبرَ الأنبياء..

يا حشاشةَ النبوةِ..

يا كرمَ الرسالة..

يا عطاءَ المسيرةِ المحمديةِ البيضاء..

يا رفرفةَ الحنينِ بأجنحةِ الحبِّ المخملي..

لكنه الملكوتيُّ الأقدس..

يا جنباتِ البيتِ العتيقْ..

هذه نظراتُ الوداعِ الصامتةِ بهمساتِ الشوق السرمدي..

فإن أباكِ الذي تحضرهُ أجلُ السنينَ "الستين" يلقي اليكِ نبأَ الرحيلِ الثاني..

بُعيدهُ بقليل..

ليبقى علياً وحيداً..

فليبقَ وحيداً تهجرهُ عادياتُ الأهوال..

لكنه هو ذا الراسخُ في أرضِ الصبرِ المحمدي المنجز لخارطةِ طريقِ الخلود..

هذا هو عليٌّ وحيدٌ بعد حكمةِ الاختبارِ لتكوني ثانيةَ أبيكِ في اللحوق الى دارة القدس السرمدي..

يا بنتَ جذوةَ العطاء..

فإن شُعلةَ الصبرِ المحمديِ لم تنفد بعد..

بل هي باقيةٌ بشموخِ الثباتِ العلوي العتيد..

الضاربِ في غمراتِ الأرضِ المنكوبة..

هذا هو "عليُّكِ" يستميحكِ عذراً أن تستمعي إلى صوتِ أبيكِ في حشرجة الرحيل..

لكنه ليس الأبدي..

فإن رحيلكِ يحين بعد وصيةِ السيدِ أبيكِ..

فهو المأمورُ بأمر السماء..

يستودعكِ الصبرَ يا سيدةَ الأحداث..

ويوسعكِ نظراتِ الخوف على مصيركِ المجهولِ المعلوم..

فإنه مستمعٌ مشفقٌ لما يختبئ تحتَ الأحداث..

فإن القومَ سينقلبونَ بُعيد ساعةٍ من رحيلهِ الحزين ليودع ابنته وصهرهُ وسبطيهِ في خضم الأحداث..

هذا هو أبوكِ متأملاً في سبطيه الحبيبين وهما يستغيثانِهِ لكل ما يجري في بلبلةِ الأحداث الساحقةِ لقيمِ السماء..

ولِمَ يا سرَ أبيكِ..

يا عنفوان التحدي في زمنِ الأهواء..

لأن المسيرةَ تنتظركِ نزفاً قانياً يصححُ الآراء..

ويغمرُ الأرضَ في جعجعة الأنباء..

في سركِ المجهول..

في قدركِ المجهول..

في قبركِ المجهول..

ملحمةِ الأحزان..

عاصفةِ الأحزان..

كي يستفيقَ الزمنُ المجهول..

يلملمُ الجراحَ في كُوَّةٍ شاخصةٍ تلوح من بعيدْ..

وترسلُ الأنوار من بعيد..

لأنها تُعد في قانياتِ الزمن المجهولِ بعيدةَ الآفاق..

كي ترسلَ الصوتَ وفيه حشرجةُ الحزين..

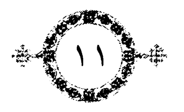
لنقطعَ الأنين..

وتورد زنبقةٌ حمراء..

رفقاً يا فاطمةُ فان أباكِ يلملمُ النظراتِ الأخيرةِ ليودعها جرحكِ النازفَ بعد حين..

ويستميحكِ الرحيلَ لأن قلبهُ النابضَ فيكِ يعيشُ بعد الفراق..

لكنّه ليس الأبدي..



إيهاً فاطمة..

فانك تشخصين الى المسجى ابيكِ مستلهمةً منه الأحداث..

مستلهمةً منه مسيرةَ الستين وبعثةَ العشرين..

ستون من عمرٍ مديد..

وعشرون من عملٍ حثيثٍ..

وانتِ اليومَ أيتها السيدةُ العتيدةُ تتوضئين الذكريات لتيممي وجهكِ الطاهر قبلةَ الأحداث..

وأنتِ أيتها المذخورةُ في أكناتِ الغيبِ المرسلِ بأشعتهِ خيطاً خيطاً من خيوط النور السرمدي..

تنسجين في ضنكِ الاهوال..

لتشعلي جذوةَ الآمال..

في بلدٍ ينقلبُ أهلوه ساعةَ التجهيز..

في أحلكِ الظروف..

في أعصف الظروف..

كي تولدَ الطفوف..

من ظلمةِ الكهوف..

يستأذنُ الشيطان..

ويولغُ الذئبُ في غمرةِ الخذلان..



إيهاً فاطمة..

أيتها السيدةُ السرمديةُ على عتباتِ الأحزانِ لم توقفك قعقعةُ السيوف..

ولغطُ الأصحاب..

فليُخرجوا علياً..

وإلا..

حرّقنا عليكم الدار..

قومي أيتها السيدةُ لتسمعيهم "صدى" أبيكِ في نبراتِ العتب المحمدي..

كيف أخلفتموني في أهل بيتي..

قومي إليهم مرتديةً رداء الجهادِ ودرع الصبرِ الحيدري..

فانكِ اليومَ ستُسمعين التاريخَ ما يصكُ به جباه جبابرةِ الجاهِ وعتاةِ السلطة خزياً بعد خزيٍ لتثنيهم عن عزمةِ الخذلان..

ووثبةِ النفاق..

وها هو تاريخهمُ المشهودُ يستقصيهُمُ واحداً واحداً فلا يجدُ فيهم الا الشنآنَ والنفاق..

وها هم قد أعلنوها حرباً على محمدٍ واهلِ بيته يوم كان النبيُّ يفضحهم بالوحيِ ويزلزلهمْ بالفضيحةِ، أما اليومَ فهم جُرذانُ الأحداثِ يغيرونَ على كلِ طيباتِ السماءِ، وهُم اليوم يقرضون بأنيابهم كل ما بناه نبيهم..

قومي يابنتَ الأكرمينْ فإنَّ القومَ عتاةٌ مجرمون يحملونَ في قلوبهم شُعلة الحقد كما هي في أيديهم شُعلة النارِ يتحدونَ فيها أباكِ..

أيتها البتول..

كم هو فرقٌ بين قبسينِ في حياتكِ الطاهرة..

قبسٌ أضاء به أبوكِ طريق هؤلاء، وقبسٌ أشعلتها أحقادهم على بابكِ المسدول حجابه..

كم أيتها الصدّيقةُ يحكي لنا بابكِ قصةَ الدماءِ النازفةِ من جنبيكِ الطاهرتين، وكم ضمها أبوكِ إلى صدرهِ الموجوع ليودعَ عندكِ أسرارَ المهمةِ ومسيرةَ الرسالة؟..

ها هي دماؤكِ أيتها الطهرُ الكوثري تنسابُ بين دهاليزِ الزمنِ المقهورِ ليتلقاكِ قربانَ فداءٍ يعتمرُها وساماً فاطمياً يفتخرُ في سرمديةِ الصراع..

وها هو زمنكِ أيتها العنفوانُ القاهر لتحدياتِ السياسةِ شاهدٌ على كلِ مفاصلِ اللعبة الأبديةِ: «لعبة التسابقات» فيوقظها ثورةً ترتدُ على أصحابها لتخلعَ أعنتها لحظة السباق..

ها هي دماؤكِ تصطبغُ بها جدوان القصور "الخضراء" تلعلعُ في غوطةِ دمشق فتكشف الأسرار..

أنتِ اليومَ أُمُّ التاريخِ كما أنتِ..

أُمُّ الرسالات..

فاحفظيها بين جنبتيكِ المكسورتين خلف باب التحديات..

هذا هو يومُكِ أيتها الذاكرةُ العتيدةُ في زحمةِ الأحداث..

نقرؤكِ أيتها العاصفةُ ثورةَ التحدي في وجوهِ الثعالبِ المتسورةِ

خلسةَ الزمنَ المقهور..

لكِ يا فاطمة كُلُّ ذكرياتِ الماضي المجيد..

ولكِ وحدَكِ كُلُّ آتٍ بهيجٍ تفتحُ الدنيا عينيها على يومِكِ الموعود..

والآتي بعد حين..



إيهاً يا فاطمة..

يا سيدةَ الأحداث وعنفوانها المتحدي..

أنتِ اليومَ ترسمين خارطةَ الطريقِ لأنكِ أيتها العينُ الحمراء الساهرة تفتحين «مصراعي» عينيكِ كما فتحتِ مصراعي الباب على كلِّ الأحداثِ لتستقبليها موعوداً لا يتخلفُ من أقاصي الغيبِ المفتوقِ على لسانِ أبيكِ..

ليُنبئكِ الأحداث..

وأنتِ أيتها السيدةُ الحزينةُ تستمعين إلى تراتيلِ الأحداثِ القادمةِ فتألفينها سبحاتُ قدسٍ علويٍ يشاطرُكِ المهمة ويكملُ الطريقَ لأنها بشارة الرسالة الموحاة من فسحةِ الفردوسِ الأعلى ليتأملَكِ أبوكِ في رحلتهِ الملكوتيةِ..

فيأتي بها إليكِ قبل أن تولدي ليودعَها سراً من أسرارِ الغيبِ..

تقرؤها خديجةَ ويرتلُها عليٌّ الموعود بكِ يا سيدةَ القدسِ العلوي..

هذا هو أبوكِ يتلقاكِ بذراعيه المودعتين في جنةِ الفردوسِ الأعلى ليحثكِ أيتها البنتُ البارةُ على مواصلةِ المسيرةِ..

لأنكِ الثابت في زمن التحدي..

هذا هو صوتكِ المعتلي بين قعقعةِ السيوف ليخترقَ دخانَ النارِ الصفراءِ..

لتلتهمَ تراث أبيكِ الواقف توّاً بين مصراعي بابكِ..

الوحيدةِ وهو يرددُ الأذنَ بالدخول..

يعقبها قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»..

«رحمةُ الله وبركاته عليكم أهلَ البيتِ إنه حميدٌ مجيد» لم تلتهمْ نيرانُ الأحقادِ نوركم المرسل من بين هضباتٍ قدسيةٍ تشرقُ على ربوات هذه الأرض..

أما جُحورها فلتبقَ مختبئةً خلفَ عقدةِ الحقدِ..

ها هي جحورهم مظلمةٌ بقلقٍ لاينتهي..

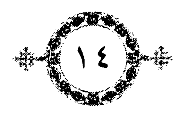
أما بيوتُكم فتلكَ البسماتُ الحاكيةُ عن حلمٍ سعيدٍ يستعيدُ الأملَ في نفوسٍ مُشرأبةٍ إلى عُلاكمُ القدسي..

أيتها الواقفةُ خلف التحدي: إن هؤلاءِ القوم أرهقتهمْ أطماعهم فراحوا ينثالون على بابٍ مشرعٍ بالإجابة على مدى رحلتهم ليستشرفوا الحق وما هم ببالغيه..

إذ إن في لغةِ القوم لُكنةَ العجمةِ في فهم الأشياء فأصابتهم بلادةُ الإستغراب من كلِّ ما هو جميلٌ لأنه الحق..

وأنتِ أيتها الغارقةُ في ذاتِ صحوةِ الحقِّ ثم الممسوسةُ في ذات أبيكِ والمختومةُ في سر الأشياء تُنبئين الأجيال وقفتكِ المشهودةِ لتدحضين مزاعم هذه الشراذم الهاربة من الحقيقةِ لتتدافع على بابكِ..

يا طهر الآياتِ النازلة على أبيكِ ليدخركِ رشفةَ الصادي في تداعيات الواقع بنفثةِ المهمومِ في تجاوزاتِ الضياع ليدخركِ أُمَّ أبيها..



إيهاً يا فاطمة..

ها أنتِ ترمقين الأحداثَ بعينٍ حمراء تشهدُ على ماضٍ عتيدٍ يقفُ فيه أبوكِ يسترجعُ رحلتهُ الملكوتية في فناءات الغيب ليجدكِ تفاحةً فردوسيةً تشده إلى مجدِ الوريثِ الذي سيكون وحيداً يحملُ ذات «محمد» في جنباتهِ القدسية..

أجل فإنكِ الوريثُ الوحيدُ لهذا المجدِ القدسي كما كان أبوكِ يحكيكِ ملحمةَ الأجيال القادمة..

وكنتِ أيتها السيدةُ الكوثريةُ تتموجين في آياتِ أبيكِ الموحاة إليه من ظهرِ الغيبِ غنيمةً عسجديةً يرشفكِ أبوكِ قُبلة النصر والإنجازِ العتيد..

وأنت أيتها السيدةُ ترسمين ملامح أبيكِ المثقلِ بالمجد ثم المتجسد كرامةَ الأنبياءِ الماضين على خُطى الإصلاح ليشيدَ مئذنةَ النداءِ على طراز فاطمة..

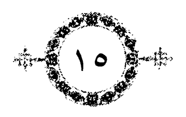
مرفوعةَ القامةِ كما أنها مرفوعة الصوتِ بالنداء..

هذا هو أبوكِ يتخيلكِ عزمةَ المجد ووميضَ التحدي في ليلٍ حالكٍ أهوجَ يتعثرُ في أذيال الهزيمة..

وأنتِ تنظرين إلى شراذم الهلع يختانون جموعهم المبعثرة تحت لونٍ رماديٍ ليتخفون فيه فينكصونَ القهقرى على أدبارهم خائبين..

وأنتِ أيتها السيدةُ الحائزةُ كمالات النصرِ تزيحينَ ما يعترضُ الطريقَ لمواصلةِ المهمة بلْ لإنجازها..

وأنتِ أيتها المتربعةُ على عرشِ التحدي تُحسنين المهمةَ الشاقةَ لكنها الناجحةَ لأنكِ وريثة أبيكِ..



إيهاً يا فاطمة..

ياحوريةَ الأرض، يا ملحمةَ الإصلاح، قرأناكِ قصةَ هابيل حيث الدم المهدورُ يومَ اشرأبتْ أحقادُ قابيلَ في حشاشةِ نفسهِ الملتهبةِ حسداً على هابيل..

ذلك الصفي الذي أعطاه الله بعد أن اجتباه، وحباه بعد أن اصطفاه..

وأنتِ أيتها السيدةُ الحزينةُ نقرؤكِ فصلاً كاملاً عن ملحمةِ الطوفان يومَ اعتلى نوح بسفينةِ النجاةِ قمة الجودي..

وفيكِ يا بزغةَ التوحيدِ الإبراهيمي يا صوتَ الآذانِ الى بيته العتيق..

يا صراع الأنبياءِ يوم كان «موسى» يقصفُ كبرياءَ فرعون بعصا التحدي فيشاركهُ هارونُ في مهمته..

وفيكِ أيتها الزهراءُ روينا المسيحَ يطاردهُ بنو إسرائيلَ لينزلوه عن ربوتهِ يوم لم تجدْ أمهُ العذراءُ سوى هذا المكان الذي اختارهُ الله

لتبدأَ مهمتها بينَ شراذمةِ الجهلِ وحفنةِ الأغبياء وهي تحمل معجزتها ليقابلَها هؤلاء بهذيان الهزيمةِ يومَ لا يملكون الحجة..

وأنتِ يا مريم أبيكِ..

يا أمَّ أبيها المثقلة بأعباءِ المسؤوليةِ لتحملي الرسالةَ بين يديكِ المتورمتين من سياطِ القهر لكنكِ تقفين حائلاً بين لغطِ هؤلاءِ وبين «عليٍ» وهو يرتّلُ مزاميرَ الصبرِ ليوصلَها حيث شاءَ الله أن يصلَ صوت الحق..

وأنتِ على بابكِ المقهورِ تتأرجحُ الذكريات ليحملَها صوتُ أبيكِ «لبئس ما خلفتموني في أهل بيتي»..



إيهاً يا فاطمة..

يا سيدةَ الحكمةِ..

ها هو لقمانُ الحكيمُ يقفُ عندَ بابكِ ليتمتمَ كلمات الحكمة فيجلجلَ بها فضاءَ المدينةِ والقومُ أصمتهم فتنةُ الإنحراف..

وها هو لقمانُ الحكيمُ يتلمسُ على جنباتِ داركِ القدسي حكمةً لم يألفْها من قبل..

حيثُ المقاومة التي عرفناكِ بها تزحزحين الظلامَ عن سبلِ السلام..

وفيكِ يا وليدةَ الحكمةِ نقرؤكِ كيف تزيحين العقباتِ لتكتملَ مسيرة الكمالِ التي صاغها أبوكِ وأنت تُعبئين الناس كي يقرؤوكِ قائدة الحلولِ في كل الأزمات..

بلْ صانعة الحلول عند تداعيات القيم..

أنتِ يا سِرَّ الأنبياءِ حينما تُصاغين على مقاساتِ الرسالةِ لتقدمكِ نموذجها الأكمل تترقينَ إلى حيث أنتِ من بهاءِ الحكمة حينما تخالطُها الآراء..

تنسجينها مطرزةً على باقاتِ الكمالِ لترسليها الى اولئكَ المتشدقين بالصحبة ليختانونَ بها اؤلئك المغفلين وليعصبوها في رؤوس السذج من الناس..

ها أنتِ أيتها المصطفاة من آفاقِ الغيبِ..

فإن اليومَ سيكون الحاسم من بين الأحداثِ..

فالقومُ معبؤونَ بأحقادهم ليحملوا أقباس الثأر..

لتلتهمَ نوركمُ القدسي كما ظنوه..

فراحوا يضرمونَ من أحقادهم بابكمُ المسدولُ على أسرارِ الوحيِ..

يوم يأتي بآياتِ الله تحكي الطهارةَ عن الرجسِ..

وهذا هو سر ترفعكم عن مناوءةِ القومِ اذ يحملون أدرانَ

الخطيئةِ في كل خطوةٍ من خطواتِهم..

وها أنتِ أيتها الروحُ القدسي تلفظين من بين جنباتكِ المقدسةِ جنينكِ «المحسن» ليكونَ شاهداً..

ثم شهيداً..



إيهاً فاطمة..

عجيبٌ يا واحدة أبيكِ، كيف لا أجد لكِ قبراً بين القبور وأنتِ مهجتهُ التي بين جنبيه؟!..

فلعلهُ ضمكِ مرةً أخرى إلى جنبيه ليدخركِ أماً ثانياً لامامة السماء..

هذا ضريحكِ المتضرّج بدماء الآل يشمخُ عالياً في آفاق الدهور..

وأنت يا سيدةُ الأحزان إنطلقتِ من قبركِ تلملمين جراحات الماضي أو نزفاً آتٍ موقوفاً على آلكِ في كل حين..

عجبتُ لقبر يضمكِ وأنتِ تبحثين عن حياة تبعثينها لتلك القبور الخاوية لتجمعي من أعماقها شتات الأجساد ثم ترسلينها أجيالاً قاهرةً تبعثُ الحياة..

هذا هو ضريحكِ شامخٌ في أحداق الزمن العتيد متربعٌ قلوب الأجيال..

ولِمَ لا يا صانعة الأجيال؟!..

فإنَّ أنينكِ القدسي ينبعثُ الآن بعد أن فتشتُ قلبي معانقاً اسمكِ ليكون قبراً واحداً من بين الملايين..



إيها فاطمة..

تمثلتُكِ زحفاً قاهراً يحطُّ رحاله في مسجد أبيكِ..

وأنتِ تعيدين بناءهُ من جديد..

وليتهم استمعوكِ خطيبةً..

أو انتظروكِ ناعيةً..

أو وجدوكِ نادبةً..

لتزيحي عنهم غبار ساعات رحيل أبيكِ..

ماهم؟!..

لم يودعوه في حفرته حتى تقاتلوا على حقٍ ليس لهم..

وتشاجروا بأمر غير آبهين بما سمعوه عن أبيكِ..

يوصيهم ويحذّرهم ويتوعدهم..

ماهم..

لا سامحهم الله..

وأنتِ تحولين بهم مدارات الزمن القاهر بماضيه العتيد لتوصيله بساعات حاضرةٍثم تفتحين لهم بوابات القادم من الزمان..

وأنتِ يا أمَ أبيكِ توجعيهم بتقريعات الخطبة التي كشفت عن أقنعة الزيف بعد أن أسمعتي آنات الزمان أَنَّتَكِ التي أجهش لها الوجود بالبكاء..

ها هي فاطمة تلتحفُ الصبر لتدّخر صبراً الى سنين عجاف قد كظها الحرمان الى صوتكِ الهادر..

ولمَ لا يا أم الأعوام والدهور فإن خطبتكِ تونقُ حياةً أخرى جديدةً بصفاء كلماتكِ الخاشعة..

بل المستطيلةِ الى عنفوانٍ سرمدي يَغشاهُ نور أبهة الصدق..

أو أبهة كبرياء الحق المغدور..

لكنه المعافى عن كبرياء العصبيةِ أو المجذول بأخيلةِ القبيلة المهووسة..

وأنتِ أيتها القاهرةُ لكبرياء الأنفةِ المستباحة لكل أمر بالحق جدير..

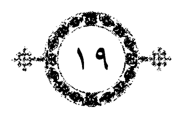
تلملمين جرحك المخزون في ذاكرة السنين، فتحملينه كلمات تصدعُ بها الأيام بل آنات الدهور..

ها هي خطبتكِ نستنشقها هواءَ حياةٍ أو نسيماً يعبقُ بشذى الجلال القدسي ليعبر سني الحرمان ثم يستفيق مارداً يحطمُ خيلاء القوم وقد أورثوها لأجيالهم الآتية لكن الهابطةِ..

هاهي خطبتكِ أيتها الموعودة بوراثةِ أبيكِ في ملحمة الجراحات لكنها المتدفقةِ بدمٍ عبيطٍ يحكي ملاحم مأساتكِ..

نستمع إليكِ جرحاً..

بل يستمع الدهر إلى حديثك الهادر توّاً حتى لو بعدت شقةُ السنين..



إيهاً فاطمة..

تمثلتكِ نهراً زاخراً تطهرين بحديثك الزمن المدنّس ..

أو نهراً جارفاً بعبيط يتوضأ منه أتباعكِ الميامين..

ليحدثوها ثورةً في كل حين..

أجل أيتها الطهر بكل نقاوتكِ تفتحين جراحات الزمن لتمسحيها بقدسكِ النوري فينبلجُ قدساً يُضيء للجميع..

ها أنتِ أيتها الطهر تعيدين الرسالة التي جاء بها أبوكِ لتقرئي للأجيال بلغة التوحيد الذي لم يحسن فهمه هؤلاء القوم وتذكريهم «بمحمد»..

ذاك أبوكِ الذي أنتشلهم من ضياع الجاهلية وذكّرهم بالإسلام..

وأنتِ تقرئين لهم الصلاة بتراتيلها القدسية..

لتعيديها رشفة الروح..

والزكاة تزكيةً لنفوسٍ ما فتئت تغامر في طيش الكبرياء..

والصيام جذوة التحدي في زمن مقهور..

والحج تسبيحةٌ الروح في طوافها الأبدي..

والعدل تنقيةٌ لعاديات قهرٍ عتيد..

وأنتِ أيتها الفصيحةُ بكل لغات الوجودِ تُعلمينهم بأن طاعاتكِ

إنتظام لكل قوانين الحياة..

وامامتكم آمنٌ من زعزعة الأهواء العاصفة بكل جميل..

بل بكل عظيم..



إيهاً فاطمة..

يا بنت الوحي وحليفته..

هذا هو جبرئيل يقرئكِ السلام من السلام..

وأنتِ تستمعين إليه لتلتقطيه حرفاً حرفاً، وهذا عليٌ إلى جنبكِ يعينكِ المهمة فترتسم يداه الجذلتان لكنه المرتعشتان من مستقبلٍ مقروء..

فهو عزاؤكِ الآن ليملأ الفراغ الذي تركهُ أبوكِ، وأنتِ تُسمعينه ما يلقيه الوحي على قلبكِ الموجع لتحمله أضلاعكِ المهمشةِ قبل حين..

هذا هو جبريل يجيد العزاء ويودعكِ ما أودعهُ الرب من تراتيل الغيب..

لكنها البشارة يا أم أبيها..

ويا سيدة الأبرار..

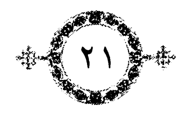
هي لكِ وحدكِ يا وحيدة النساء..

وأنتِ ترددين ما ردده الوحي ليلقيهُ عليٌّ على مصحفكِ القدسي..

ثم يختزنه لأبنائه بشارة الغدِ الموعود..

هذا هو مصحفكِ مقروء في تعاريج الغيب المنفتق على أسرار مكنونةٍ تدخرينها علماً مخزوناً يحملهُ أبناؤكِ في خضم الأيام..

وأنتِ ترددين بعد كل صفحةٍ من مصحفكِ الأقدس: لكَ العتبى يا رب حتى ترضى، ثم تسبحين بجلالٍ قدسيٍ الى الأبد..



إيهاً فاطمة..

هذا مصحفك النوري يتلألأ بوصاياكِ في كل حين..

وأنت يا «أم» ترسلينه إلى بنيكِ واحداً واحداً يقرؤونه بلغتكِ حيث لم يُجِدْها غيرهم، فهو التنزيل والتأويل ثم هو التفسير لمدارات الزمن المثخن بجراحات القادم من السنين..

ها هي فاطمة تفتح صفحةً صفحة من مصحفها القدسي لتأذن لكل واحدٍ من أبنائها بالترتيل، فحروف مصحفكِ مكنونة الغيب..

لكنها مفتوحٌ على عالم لا يطيقه إلا بنوكِ أيتها الحزينة الموجعة في تراتيل المصحف ليعيد اليك يا «أم» ما يلقاه بنوكِ من قتلٍ وتنكيل..

وأنت تكفكفين دموع بنيكِ واحداً واحداً كلما قرأتِ في مصحفكِ ملاحم الشهادة..

ثم تبتسمين فرحةَ النصر الموعود..

هذا هو حفيدكِ «محمد» يختم الأحزان بنصرٍ جديد..

وأنتِ يا «أم» ترمقين بنيكِ بنظرة الوداع المخزون على جراحات السنين..

وسوف تجدين فيهم كل ما قرأتيه في مصحفكِ ليرتلوه معكِ حرفاً حرفاً ويختمون مصحفكِ بسجدة الشكر وهم يحدّقون في عينيكِ الموجعتين..

لكنِ الفرحتين..



إيهاً فاطمة..

فإن الدماءَ النازفةَ من بينِ جنبيكِ يا سيدةَ الطهرِ تُطهِّر أروقةَ المكان كما هي تطهِّرُ أروقةَ الزمان لتحيلهُ مستيقظاً من هفواتِ الماضي بعد أن تعمَّدهُ ليبتلَّ روحاً في أغوار القادم الموعود..

ها أنتِ يا أم «الحسن» المسموم تستعيدينَ في صبرِ ولدكِ المقهورِ عادياتِ الزمنِ الغادر فتتركينه يُسبِّح بالصبرِ ليستعينَ بصوتكِ المنبعثِ من بين ربوات المدينةِ في فضاءِ البقيع بعد أن خافوه معتنقاً جَدَّهُ ليُبطِلَ دعوات الانتساب في حقيقةِ النسب..

وتعلمين يا سيدة التحدي ما الذي دعا ولدكِ إلى الهدنة..

إنهُ غدرُ اولئك الملتحفينَ برداء النفاقِ يستبقون إلى حظوة السلطانِ بزهيدِ الأمنيات..

وليتكِ حاضرةً في خضمِّ المواجهة لتَرَي إصرارَ ولدكِ على النصر..

وكأنّي بكِ تمسحينَ وجهه بعد لَأْيٍ من المواجهةِ ليخرج منتصراً بعد الهدنة ليعيدَها حديبيةً بكلٍّ تفاصيل النصرِ وحكمة القيادة..

وكأن أباكِ يقود حملةَ الهدنةِ في الكوفة كما قادها من قبل في الحديبيةِ وهو يشدُ يدَه على ولده: أَنْ أحسنتَ يا حسن حكمةَ المواجهةِ كما أحسنت حكمةَ الحربِ..

وها أنتَ تلاحقُ آل أبي سفيان بجريرة الخذلان وغدرِ العهود..

وأنتَ يا بني أجدت كل شيء حتى إنكَ صرت هاجس الأعداء..

يخافوك ميتاً كما خافوك حياً..

هذا هو ولدكِ مستقر في ذاتِ الأحداثِ كما هو مستقرٌ في تفاصيلِ جدهِ ليقودَ المسيرةَ..

وها أنتِ تأخذين بيدهِ عالياً بعد أن وسمتيه بقبلةِ النصر وهو يلوّحُ إلى كسب الجولة..

وأنتِ أيتها المفجوعةُ تنظرين اليه وقد أنهى المهمةَ ليلفظ كبدهُ كما لفظ دنياً جرّعتهُ الغصص وأحالته إلى وحيدٍ مقهورٍ يشدُّ وسطهُ بحزام الموت..

لكنهُ وسام الخلود..

هذا هو ولدكِ البكر يفتتحُ عهدهُ بمواجهةِ الخذلانِ كما هو عهدكِ البكر في مواجهة النفاق..

فالسقيفةُ شاخصةٌ في الأذهان كما أنتِ شاخصةٌ في عيونِ الناس..

يعيشونكِ تحدّياً في صمت، وخشيةَ صلاةٍ عندما يجللُها خشوع، وغمامةً حينما تظللُ الشطآن، ونوراً عندما يختلطُ الظلام، وصبحاً حينما يعسعسُ الليل، وضوءاً يتنفسُ في الآفاق، وبريقاً يستنزلُ المطر..

وها أنتِ تعصفين برهاناتِ الماضي وقد أحلتيها الى ذكرياتٍ تُفصِح عن تحدٍ يرعبُ السنين..

وها هو الحسنُ تبعثينه ليحيلَ المكان إلى جذوةِ ضميرٍ يستشعرُها كل من يمر عليها في خاطرهِ ليجده مكتوباً تقديساً يطهّرُ المكان ويُقصف السقيفةَ الى حيث الزوال..

وتحدياً يعيشه الجميع كلما أعادوه صانعاً للهدنةِ وفاتحاً لسبلِ السلام..

لكنه الحسن ابنُ أبيه ذلك المموس بذات النصر يستنزلُ الأحداث من معاقل التحدي ليجعلَها دروس الفتحِ..



إيهاً يا فاطمة..

يا حاضرةَ الطفوفِ وشاهدةَ الحتوفِ على جانبي كربلاء أراكِ تلفلفين شهيدكِ الملقى ثلاثاً في عباءةِ الإنتصار لأنها لافتة التحدي في المصير المجهول..

لكنه المشرق في عطاءاتِ الغيبِ المقروء..

وأنتِ أيتها المفجوعةُ تلملمين بقايا الأجسادِ المتناثرةِ لتدفعينها مهرَ الانتساب الى مجدٍ تليدٍ أراده أبوكِ..

فإن سومَ المهورِ لغانياتِ العزِ رخيص..

وان السائمَ غيرُ خائبٍ فصفقاتُ الأحرارِ تُعجز العبيدَ عن الفرار..

وكان قرارُ النصر بين يديكِ تقرأينه..

سمعناكِ أيتها السيدةُ ترتلين عاشوراء بصوتٍ جنائزي..

لكن على انغامِ الإنتصار..

وها هي رباتُ الخدورِ من سيداتِ بيتكِ الطاهر تُردد تميمة العزم مودعةً خواطرَ سيداتِ الطفوف..

فكانت عزماتٌ فاطميةٌ من طرازِ التحدي الطاهر في مخيلة القومِ ليسمعوا «فاطمة» صوتاً قادماً من ثنايا المجهول..

وأنتِ الآن ترفعين رأسَ شهيدكِ على قناةٍ طويلةٍ لكنها لافتةٌ قرأتِ فيها مسيرةَ الإنتصار، وكأن الرأس المرفوع لشهيدكِ الحسين تميمة الأجيال ترفعها الى عالمٍ يبتهجُ بكثرةِ الفتوح ويزرعُ الطموح في كل جباهِ المحتفين بهذا اليوم الحزين..

لكنهُ السعيد حيثُ يحققُ الآمالَ على مدى سنين..

عفوكِ يا سيدةَ الأحزان فهذا شهيدكِ يمتطي صهوة المجدِ لينظرَ في الأفقِ البعيدِ أَنَّ النصر يحتكرهُ الأوفياء..

وأنتِ يا سيدةَ الأحزانِ تلملمين الأطفال وتُركبين العيال..

فإنَّ المسيَر بعيدٌ..

لكنه قريبٌ الى الخلودِ لتلحقيهُم قافلة الصمود..

وتلكَ السقيفةُ صانعةُ قرار الموتِ تستعيدُ الثأرَ على مقاساتِ آل أبي سفيان فتحيلها دماءً نازفةً لا تهدأ..

وعلى تلك الربى النازفةِ يستعيدُ الأقحوان نضوجهُ لينموَ في وعثاءَ التجربةِ التي لم يحسنْ عملها الا آلكِ المضمخين بعطر الشهادةِ..

وحيثُ تكبرُ هذه الفراشات لتنقلَ رحيقها الى عالمٍ مهووس يرتدي الجميع عباءةَ الوفاءِ لدماءِ الآل من بنيكِ..

لكنهُ الوفاءُ حتى على المدى البعيد..



إيهاً يا فاطمة ..

يا سفرَ الخضوعِ على صوتٍ يرتلُ صحيفة العبودية لله بلغةٍ لم يفهمْها الا آلكِ النجباء..

وهم اليومَ يستمعون إلى "عليٍّ" ذلك السيد الذي عاش أحزانَ كربلاء ليكتبَ أحزانه في فقراتِ خشوعٍ أحالهُ الى بلسمٍ يُمسحُ به الجراح..

فإنَّ للطفوفِ مساحاتُ الحزنِ السرمدي تنسجُها الذكريات..

وهذا عليٌّ يشمخُ بمهمةِ الناعي ليحيلَ صوتَهُ المتكسر من عبراتِ الأحزان إلى ملاحم الإدانةِ في كل آنٍ من آناتِ الظالمين ليقرعَ ناقوسَ الخطرِ في كل دمعةٍ يذرفُها على عاشوراء أبيهِ يستلهمُ فيها جِراحاتِ الماضي إلى زمنٍ يمتدُّ بامتداد المأساة..

وهذا دعاؤكِ يا فاطمة يرتلهُ ولدكِ في صحيفةٍ ينشدها الجميع..

هذا دعاؤكِ أيتها السيدةُ الحزينةُ تصنعين منه المعجزات في زمن الإنكار..

فإنه فقرات حياةٍ لنهجٍ أمثل يجللُه الخشوع ويكبره المسبحون في جلالهِ القدسي..



إيهاً يا فاطمة..

يا مدرسةَ الآل..

هذا حفيدكِ "محمد" يتلقى البشارةَ من أبيكِ ليقرئه السلام ويبعثهُ موصولاً بأمنياتِ الماضي أن يراه..

لكنه السيدُ أبوكِ يرى "محمداً" في عينيكِ المشدودتين الى أفقٍ بعيدٍ..

وهو يتلو علومَ أبيكِ في مدرستكِ المكتظةِ بمعارف الغيبِ..

يدرجُ في جنباتها مردداً أبجدية العلوم..

بل كل العلوم التي احتواها صندوقه القدسيُ ذلك صدرُكِ المرضوض..

لكنه بقيَ محتفظاً بأسرار الوحي ليقرأ أوراقه في علم أبيكِ يبقرهُ بقراً..

فصار باقر العلوم..

ولمَ لا يا أم الكتاب؟ يا خازنةَ الأسرارِ في «انا أعطيناكَ الكوثر»..

يا مشكاةَ النورِ القدسي يُضيء في جنباتِ طريق الآل..

انه يشدُ على يديكِ معاهداً أن يقرأ نفحاتكِ الفاطميةِ في زمنِ الظلام لتشرقي من جديد مشكاةً يبعثُ بنورهِ الى آخر الأجيال..

فإن الطريقَ وعرٌ يا سيدةَ الآمال..

وهذه أوراقكِ المبعثرةِ يلململمُها إشراقةً جديدةً يتلوها قرآناً..

لكنهُ التفسير..

أو شرعةُ أبيكِ في أحكامٍ مجهولةِ المصير..

يستعيدُها أحكاماً تحكمُ بها الحياة..

ويُسعدُ الجميع..

لأنها من نفحاتِ قدسكِ يا سيدةَ الجميع..



إيهاً يا فاطمة..

يا فاتحةَ الحرفِ للأجيال..

هذا "جعفر" يرثُ من أبيهِ جامعةً تُعرفُ باسمه..

يأخذُ مفاتحهُ منكِ لكن على يدي والدهِ باقر العلوم..

فإنه يتوسعُ في جامعته الآن ليصدّرها لافتةً خطَّ اسمها بمدادٍ نوريٍ تقرأهُ كُلُّ الأجيال أسماها "جامعة فاطمة"..

لأنه يا "أم الأجيال" يتوسمُ في إسمكِ نفحاتٌ ترتادُ عقولَ الناس فينتسبون اليها ليتخرجوا: علماءَ..

فهماءَ..

حكماءَ..

اتقياء..

وأنتِ يا سرَ الأشياءِ يلهجُ باسمكِ جعفر طويلاً ليجعلكِ منهاجاً في جامعةِ درسهِ ليلقيه عزماً تتشظى منه الكلمات..

وأنتِ يا سر الكلمات يقرؤكِ كثيراً..

بل في كل يوم..

نتوضأ باسمكِ لأنكِ طهارةَ القلوبِ..

بل نرتللكِ قرآناً يا مصحفَ الغيبِ لأنكِ آيات الغيبِ ثم نقرؤكِ في جامعةِ جعفر ترتيلاً يستمعُ الينا كل يوم، يتابعنا ليصححَ الكلمات..

ونحن في حضرةِ سيدنا الأستاذ ترسمكِ شفتاهُ المونقتانِ تميمةً يحذرنا ان لا ننساها حيث نستذكرها في كل حينٍ لأنكِ سر الأشياء..

ها هو درسُ "جعفر" نقرأهُ طويلاً ثم نفتحُ كتابهُ صباحاً فنجدكِ منهاجَ الدرسِ..

فإن اسمكِ تتفجرُ منهُ ينابيعَ الحكمةِ..

ثم نستنشقكِ طويلاً فنجدُ شذى الكلماتِ تفتحُ لنا آفاق الكونِ..

إنا نقرؤكِ في دروس جامعة "جعفر" صبراً يطرِّزُ فيكِ ملحمةً كبرى تتسورُ كل الجدران..

ثم نقرؤكِ أنشودةً فيها حروفَ الهجاءِ نتابعكِ حرفاً حرفاً حتى آخرِ الدرس..

لكنه لم يكن الأخير..

فإن "جعفر" مواظبٌ على ان يكونَ اسمكِ مرفوعاً عنواناً لجامعتهِ الكبرى..

لأنها جامعةُ الأجداد..

بل جامعةُ الأحفاد..



إيهاً يا فاطمة..

يا كظمَ الغيظِ..

يا صبراً لاحَ في الآفاقِ..

بل يا صوتاً يترددُ في دهاليزِ السجان..

يا نوراً ينبعثُ بصيصاً في زنزاناتِ الحكام..

يا نبرةَ السياطِ فوقَ تجاعيدِ الأجساد..

يا جلجلةَ السجانِ يقفلُ سلسلتهُ على ساقٍ مرضوضة..

لكنهُ مذبوحٌ ينزفُ بالدماء..

يا تميمةَ الجرحِ..

هذا "موسى" يقرؤكِ بلسماً على جرحهِ الطويل ليعبرَ السنين..

ويكثرَ الحنين..

في صوتهِ الحزين..

يغادرُ الآفاق..

ويبعثُ الأشواق..

ليمتطي صهوةَ المجدِ..

كأنه سجين..

وهكذا السجين..

في درسكِ البليغ..

يقرؤهُ موسى عزاءً يستعيدُ فيه نبرات مناجاته في ليلٍ حالكٍ حتى يستيقظَ الفجرُ من رقدته..

هذا موسى يبعثكِ من سجنه الهاروني خطاباً يلقيهِ للأجيال..

وأنتِ ترعينهُ يا "أمْ" بعينيكِ اللائحتينِ إلى غدٍ بعيد..

لكنه مشرقٌ بابتسامةِ موسى وهو يخرجُ مثقلاً بحديدِ السجانين ليُلقى على الجسرِ ببغداد..

إنه عيدكِ أيتها الحزينةُ ليُحالَ إلى عزاء..

بل عزاءً تصنعينهُ عيداً يا أمَ الشهداء..

تسجلينها ملحمةً على الجسرِ ببغداد..

يكتبُها الجسرُ روايتهُ الحزينة من مدادِ دجلةَ الهادرِ الذي يُطيح بهارونَ السجان..

هذه قعقعةُ سلاسلِ السجانين تُحال إلى لغةٍ جديدةٍ يترجمها ولدكِ "موسى" بأنها تمائمُ النصرِ في مستقبلٍ يختطفهُ السجانون..

ثم تُرجعهُ فديتكِ مقابل حفنةِ ايامٍ يستريحُ بها هارونَ على كرسيِ الموت..

ثم تحيلينهُ عرشاً تتحطمُ جماجمُ الطغاةِ عند قدميه..

وأنتِ أيتها المفجوعةُ بحنينكِ الدائم الى سجنِ "موسى" تَرمقينَ الفضاءَ بنظرةِ التأمل البعيدِ لتشمخَ قبابُ موسى وسطَ بغدادِ هارون..

أفيقي بغداد..

يا جذوةَ النصرِ..

وملحمةَ الأُحكياتِ في ليلٍ رماديٍ يدنو الى صبحهِ ليوقظَه سريعاً فيلملمَ شتاتَ الأشياءِ ويصرخَ هادراً ليعيدَ حكاية شهيدِ بغدادَ الى سيدٍ شاخصٍ في الأذهان..

بل مركوزٌ في قلوبِ الأجيال..



إيهاً يا فاطمة..

فديتكِ..

وأنتِ تروين لنا ما بعدَ "موسى" في ولده "علي"..

ذلك الممتحنُ بالقضاءِ لأنه الرضا بمصيرٍ خطَّ بالقلم..

وكأنكِ تستمعينَ من وراءِ الغيب إلى عزمِ المأمون جالباً ولدكِ الى خراسان اسيراً بقيودِ نزوةِ الملك وشهوةِ السلطان ليكونَ "عليٌ" بعيداً عن مكرِ السياسةِ حينما يحكيها السلطان..

هذا عليٌّ يستجيبُ للقدرِ ويعتلي العرشَ مُستلهماً منكِ دروس التحدي..

فهو اليومَ يُعيدكِ منبراً ينطلقُ قراءة خطبتهِ الرافضة لكل تحايلاتِ السياسةِ وتدبيرِ السلطان..

انه "عليٌ" منكِ وبكِ وريثكِ المعبّأ بالصمودِ في مواجهةِ الأحداث..

يستلهمكِ تقديساً ينسجُ منكِ مسلّةَ الحكمِ ويسترعيكِ كاتبةً لأسطرِ قانونِ المواجهةِ التي يتهيأ اليها..

هذا هو وريثكِ نبعةٌ تنمو في صخورِ التحديات..

لكنها مونقةَ العطاء حتى لذلك المأمون..

ولم يشأ وريثُ هارونَ أن يقلبَ معادلات الحكم غير أنه أثبتَ لنفسهِ أنه الخاسرُ الوحيد في هذا الرهان..

بل هو الفاقدُ لكلِ مقوماتِ النجاح أمام وريثكِ "علي" كما فقدَ القومُ رهانهم منذُ لحظةِ السقيفةِ لأنكِ أحلتيها أمنيةً خاسرةً ترويها الأجيال..

ها أنتِ يا أم "علي" تشيرين بإصبعكِ الى خارطةِ الطريقِ وتُسمعين الجميع بأن الامر لم يعد رغبة الحكام..

وها أنتِ أراكِ تلوحين الى حفيدكِ شارةَ النصرِ في آخر الطريقِ..

فها هو ملفوف بعباءته يتطلعُ الى يومٍ موعودٍ ليستضيفَه المأمون على مائدةِ الغدر..

مسموماً بعنبٍ قرمزيٍ يحكي لونَ الدماءِ المهدورةِ لحظةَ نزوة السلطان..

وها أنتِ تنتظرينه عند الباب..

تستقبلينه بطلاً قد أنجز المهمةَ..

ثم تجليلنهُ قُبلة النصر..

ها هو "علي" يتركك يا "أم" وحيداً في باحةِ خراسان..

غريباً ترفرفُ عليه طيورُ السعد لأنه أنجز المهمة..

بامتياز..



إيها يا فاطمة..

يا نوراً يلوحُ بين خراسانَ والمدينةَ لينقلَ بشائرَ النصرِ الى وريثكِ الجديد "محمد"..

فهو الجوادُ الذي جادَ بالصبرِ ليكملَ المسيرة..

فها هي رسلُ المأمون تترى بطلب "محمد" ابنِ أبيه الراضي بالقضاء وريثاً لإحباطِ لعبةَ المأمون التي ما فتئت تختانُ روادها..

وهي اليومَ تنقلبُ على صانعيها لتحيلَهم عصابةَ الإرتزاق فينتهي فصلاً من تحايلاتِ المكائدِ يؤثرهُ "محمد" بفطنتهِ وحُسن تدبيرهِ..

ولم تزلْ فصولُ المكيدةِ..

لم تنتهِ فها هو المعتصمُ يتسلمُ بقيةَ المهمةِ..

فإن فصولَها الأخيرةَ ستكونُ على يديه..

انها لعبةُ المأمونِ في اعطاء الفرصةِ لآل عليٍ..

لكنها مضمخةٌ بدماءِ الشهادة..

هذا وريثكِ "محمد" يتكئُ على ظللكِ المحدودبِ من غصصِ السنين..

لكنه الشامخ بفصوله القانية..

لأن لكلِ واحدٍ من آلكِ ملحمةَ الفداء..

تعزيةً لكِ يا طهر..

فإن محمداً الصامدِ في خضمِ فصولِ المكيدةِ سينتصر بالشهادة التي ترسمينها له بيدكِ المرتعشةِ من فاجعةِ الدارِ وضلعكِ المكسور يئن بين حناياكِ الملتهبة..

لكنها المطمئنةُ..

فإنَّ عزمَ الأبناء في تشييدِ صرحكِ مزدانٌ بثقةِ الإنتصار..

أيتها الخاشعةُ في زحمةِ الأحداث..

وأنتِ تراقبين المشهدَ من بعيدٍ فتحيلينهُ عزمةَ الصاعدِ من ملكوتِ المهمةِ الى ملكوتِ السماء..

ذلك هو ولدكِ "محمد" فإنه الجوادُ بكلِ ما أودعتيه من ثقةِ الحكمةِ يوصلُها رسالةَ الأم فاطمةَ الى كل الآفاق..

لأن صوته يدوي مع كل آذان من على منائرِ بغدادَ الشاهقةَ بذهبيتها كأنها وسام..

وأنتِ تلدينَ "محمداً" الحفيد فإنكِ وضعتِ مولودكِ التاسع ليأخذَ رسالتكِ يتلوها على مسامعِ الزمنِ ليخشعَ تسبيحاً تاسعاً في سماءِ الآل..

وأنتِ أيتها الشمسُ في عالمِ ملكوتِ الأوصياء ..

هذا شعاعكِ أيتها الكوكبُ الدريُ في مشكاة..

هذا "محمد" يستميحكِ عذراً ليغادرَ الأجواء..

لكنه الآن يبدأ بالمهمةِ حيثُ لم تنتهِ..

وحيثُ أنتِ تبعثينهُ رسولاً أنجز المهمةَ بكلِ تفاصيلها ليتجرعَ السمَّ لأنه اولُ الفصولِ وآخرُ مشاهدِ المكيدة..

ليخرجَ محمولاً على أعناقِ التاريخ..

مستريحاً في أبّهةِ الإمامةِ تقديساً تاسعاً تنعاهُ السماء..

لكنكِ يا "أم" لم تتركيه الا ملفوفاً في بردةِ الامامةِ مودعاً بحبوحةَ الخلد..

كما هي باسقاتُ المجدِ التليدِ..

وأنتِ تعتنقينهُ بحثاً عن ضريح..

فهذا صدركِ المكسور يتسعُ الجميع من آلكِ..

وهو الآن مستئذنٌ بالدخولِ لينضمَّ إلى قافلة الآل..



إيها فاطمة..

هذا "عليٌ" يعزيكِ يا طهر..

وأنتِ تمسحينَ رأسهُ بيديكِ لتحيلينهُ عاشراً يكملُ الطريق..

فإن المسيرةَ لم تحط رحالها..

ولأنكِ عزمتِ على الإنجازِ فإنكِ تلملمينَ الجراحَ ولم يضركِ أيتها الحزينةُ فقد الأبناء..

لأنكِ تعلمين أن الجراحاتِ لم تندملْ إلا بعد لأيٍّ..

وأنتِ تجدينَ حفيدكِ عليّاً يستعدُ لمهمةٍ جديدةٍ يتوجها بمواجهةِ الطغيان..

فذاكَ المتوكل يستعيدُ بني العباس في حسابٍ جديدٍ لآلِ عليٍ حتى يوسعهم قتلاً وتشريداً..

فإنه الأجدر من هؤلاءِ في تنفيذِ الأحقاد..

لكن ابنكِ الاجدر في تنفيذِ الخطة التي يباشرُها الآن..

فها هو مزهواً بثنائكِ القدسي المتلألئ من عادياتِ الزمنِ ووعثاءِ المسيرِ..

وها أنتِ تجدينه مأخوذاً بكلِ تفاصيلِ الإنجاز..

لأنه الأسمى في عطاءٍ تباركه السماء..

وتحثه طويلاً أن يستعيرَ أزاركِ ليتسربلَ حتى قدميهِ فيستعدَ للوقوفِ في باحةِ المسجد فإن السقيفةَ لم تمتْ وان خطبتكِ يحتاجُها الآل من ابنائكِ ليتمعنوا فيها طويلاً ثم يلقونها تكبيراً يقرعُ اسماعَ الدهر..

ولأنكِ أيتها البارةُ بآيات أبيكِ تتلينها قرآناً يمكثُ طويلاً في صدورِ القراءِ من آلكِ..

لأنه إملاؤكِ القويم فإنهم حفظةً اوفياء..

وهذا "عليٌ" يتمتمُ كلماتِ الفتحِ يسمعُها تقديساً تعويذينهُ بها..

لأنهُ الفاتحُ بعد لأيٍ يستنهضُ كلَ أدواتِ النصرِ ليعتلي صهوةَ العلياءِ مسبحاً بتراتيلكِ أيتها الغراءُ في طلعة الدهر..

وأنتِ أيتها الراعيةُ لمهمةِ الآلِ تحفظينهُ عاشراً في سمائكِ..

تبجلينهُ عازماً على اتمامِ الشوطِ الطويلِ حيثُ لم ينقطع الطريق ولم توقف المهمة..

فإنه يستريح آناً ماً وقد أعرتيه مصلاكِ ليسجدَ سجدةَ الشكرِ حيثُ أنهى المشوار..

وأنتِ ترمقينهُ بنظرةِ الوداعِ لتمطريهُ بوابلِ الدموعِ فإن الوداعَ يقتربُ الآن وقد احتسى شربةَ الخلودِ مكسوةً بسُمٍ معهودٍ يتجرعهُ الآل..

لأنه غصةُ الدهرِ في حلقِ الطغاة..

ولأنَ السمَ يتذوقهُ آلكِ رحيقاً مختوماً بمسكِ المسيرة..

متلوناً بأقحوانِ المجدِ..

معفّراً بترابِ البقيعِ وقد ضمكِ شهيدتَه الأبدية..

لأنكِ رمزَ البقاء..



إيهاً يا فاطمة..

كأني بكِ تنظرين إلى ولدكِ «الحسن» وأنتِ تكفكفينَ دموعهُ لرحيلِ والدهِ..

فإن له الآن أن يستمعَ إلى خطابكِ النوري منبعثاً من مصحفكِ الذي فيه سلسلةُ الآلِ من الإمامة..

وهو يقفُ بين يديكِ مستمعا لما تؤدينهُ إليهِ من وصايا..

انهُ الحسن مختوم بختمِ الإمامةِ وممهوراً بمصحفكِ الأقدس..

مستجيب لكلِ المهمةِ فإنها خطيرةً في كل الحسابات..

ولم يكد ولدكِ أن يستلهمَ الدرسَ الأخيرَ حتى يجدَ نفسهُ في محرابكِ مسبحاً بكلماتٍ لم يفقهها الا إمام..

فهو المعصوم في أفقٍ رحيبٍ من المسيرةِ ومستَوْحٍ خطواتكِ الى المسجدِ المكتظِ برغباتِ المتآمرين لتقلبيها الى ملحمةٍ كتبتِها في

مسجدِ أبيكِ يوم أرادت السقيفةُ مغادرةَ المكان لإلغاء كل ما جاء به أبوكِ حتى تكونَ لهم كلمة الفصل..

لكنكِ يا أم أبيكِ أحلتِها الى مؤامرةٍ تُوْأَد في مكانها..

وهذا الحسن ابن أبيكِ يستلهمُ روحكِ ليكون مكسواً بحّلةٍ قدسيةٍ يسترهبُ بها الأعداء..

فهو اليوم مكلَّفٌ بانجازِ المهمةِ..

وأيُ مهمةٍ هي يقرؤها في مصحفكِ على مُكثٍ ليستردَّ بها أنفاس الماضي السحيق يوم كان مهووساً بعبء المكائد والمدعيات ليسترجعَ كل التحدياتِ إلى نصابِها ويبدأ المسيرةَ بعزمةٍ يستلهمها منكِ أيتها البليغةُ في آياتِ مصحفكِ المتلو ليلَ نهار على أسماعِ آلكِ الصامدين بصمودكِ المزهوِّ بنصرِ التحدي..

هذا حفيدكِ يستحضرُ وصاياكِ في كل يومٍ ليكونَ إماماً مأخوذاً بعهدِ السماء..

كأني بكِ تنتظرين الفجرَ وهو يقتربُ ليُسمعكِ صوتَ الموعود..

حفيدكِ صاحب المهمةِ الكبرى وقد أحالها والدهُ إلى ملحمةِ انتظار..

ها هو ولدكِ الحسن يستعيدكِ فجراً يستنهضُ به المهمةَ ليحملَ وليدهُ ملفوفاً بختمِ الإمامةِ لتحمليهُ خاتِمَ الأوصياء..

وها أنتِ أيتها السيدةُ تضمينهُ بين يديكِ الى صدركِ المكسور لتهمسي لهُ سرِ الامامةِ..

فإنَّ والدهُ سيغادرُ المكانَ قريباً ليصحبكِ الى حيث الفردوسُ الأعلى..

فإنه أنجز المهمةَ ونفّذَ وصيتكِ بتفاصيلها..

لأنهُ ابنكِ البار..

وها هو يحزمُ أمتعتهُ ليغادر قريباً فإن جرعة السمِ يستلهمها ملحمة انتصار..



إيهاً فاطمة..

يا حزمةَ الصبرِ في وعدِ الانتظار..

يا موسومةً بكلِ تحدياتِ الزمنِ..

فإن لكِ في الفجرِ موعداً تغادرينَ فيه كل الاملكِ وتحققينَ كل أملِ موسوم بالغيب على لسانِ أبيكِ..

ذلك المثقل بهواجسِ الغدِ..

لكنهُ المثقل بوعدِ الانتصار..

وأنتِ تستمعين إلى أبيكِ يرتلُ اسمهُ الموعود..

ذلك«محمد» الذي سيغادرُ ببردته و«عمامته السحاب» ليستلهمَ المهمةَ..

أجل: كأني بكِ أيتها الموجوعةُ من آهات الماضي تحضّرين ولدكِ من جديد..

وتحزمين معهُ وصاياكِ الممتلئةِ بأمل المسيرة فانها طويلةُ التحضيرِ ثقيلةُ الإنجازِ..

لكنها خفيفةٌ المؤونةِ في قاموسكِ المملوء بأبجديات: الوعدِ، وراثةِ الارضِ، بقيةِ الله، خلافةِ الله، بيعةِ الله، عهدِ الله، ميثاقِ الله، نصرِ الله، بل بكل أبجدياتِ الوعدِ الالهي من النصرِ، الظفرِ، السطوةِ، الرحمةِ، النقمةِ، وكلِ ما من شأنه ان يدلَ على إنجازِ المهمةِ لتكون العاقبة للمتقين، للمحرومين، للمستضعفين، للمقهورين، للمساكين، للمتشردين وأخيراً لتكون كلمة الله هي العليا..

وهذا وصيكِ يا فاطمةَ يمتطي صهوةَ الحربِ..

لكنهُ يحملُ شارةَ السلام..

فهو مبعوثكِ الى أهل هذه الارضِ المقهورين..

وانتِ يا صانعةَ السلام وملهمةَ السلام تمسحينَ على جباه المحرومينِ وعثاءَ الطريق..

ها هو وريثكِ «محمد» يئتزرُ بوصيتكِ بعد أن تلاها عليه أبوهُ قبل الوداع..

وها أنتِ تستمعينَ اليه كيفَ يرددها بعد أبيهِ حرفاً حرفاً ليمهرها بغيبته المودعةِ في مكنونِ الغيب..

ها انتِ يا سيدةَ الاحزان تعوذين حفيدكِ قبلَ المغادرةِ بكلماتِ النصرِ وتميمةَ الفتحِ المبين..

وها هو يقبلكِ يا «أمْ» قبلَ المغادرةِ الى حيثُ المواجهةِ..

فإنها طويلةَ الامدِ كبيرةَ التحديات..

وها أنتِ تشدينَ على يديهِ قوةَ الشوقِ..

لكنها قوةُ المصيرِ إلى غدٍ طويلِ الانتظار..

وأنتِ يا سيدةَ المحنِ تلفلفينَ رأسَ حفيدكِ عمامةَ المواجهةِ يعتمرها في كل حين..

وها هي فصولُ المواجهةِ يستعرضُها أمامكِ لتستمعي اليه محارباً، مغواراً، شجاعاً، مقاتلاً لأنه امامُ وريثُ امامٍ خاتمُ ائمةٍ..

وها هو يستعرضُ أمامكِ آدمَ في علمهِ، نوحَ في محنتهِ، ابراهيمَ في مواجهتهِ، موسى في تحديهِ، عيسى في غيبتهِ، محمدٌ في كلِ الأصفياء لأنه خاتم الأصفياء..

وأنتِ تلقنينهُ صحفَ ابراهيمَ، وتوراةَ موسى، وانجيلَ عيسى ، وأخيراً قرآن محمدٍ يتلوها حرفاً حرفاً وآيةً آية، وأنتِ تستمعين لهُ وقد أجادَ الترتيلُ واحسنَ الطريقةَ، وأنجزَ التفسير..

ثم انكِ يا أمْ تودعينهُ أسرار الامامةِ كما تودعينهُ أسرارَ النبوةِ وأنتِ تخرجين اليهِ عمامةَ جده محمد وسيف أبيه عليٍّ ثم تضيفين إلى أمتعتهِ عصا موسى وخاتمُ سليمانَ ثم ترزمينَ بيدكِ يا «أمْ»: مصحفكِ، والجفر والجامعة وكل مواريثكِ واحداً واحداً..

ويستميحكِ المغادرةَ مستعداً للمواجهةِ لكنك تذكرينهُ قبلَ الخروجِ ليبدأ فصولَ المهمةِ بأنه المنتصرُ مهما طال الأمدُ وقستْ القلوب وكثرتْ الشبهات..

وهو يستمعُ اليكِ برضا القلبِ وقناعةِ المصير..

لكنهُ يُشغلهُ صوتكِ المتكسر بحشرجاتِ الحنينِ إلى ذكرياتِ الماضي..

وأنتِ تتليها وصاياكِ الخالدة..

ها بني..

أستودعكَ الله من شريدٍ طريدٍ غريبٍ..

وكل ذلك أخيراً لتغدوا انتصاراً كبيراً، وفتحاً مبيناً..

أي بني انظر وراءكَ لترى ذلك القتيل السليب ثلاثاً تصفعهُ حرارةَ الشمسِ وذاكَ رضيعهُ ملقيً الى جنبهِ مخضوبَ الوريد..

أي بني..

ما ذنبُ جدك تنتابه عسلانُ الفلوات وأهلُ بيتهِ وأصحابهِ مجزرينَ كالاضاحي ونساؤهُ حيارى ليس لهنَ مأوى..

أي بني التفت قليلاً الى وراء لتنظرَ جدكَ الحسن وقد القى أحشاءهُ من حرارةِ السم..

وهكذا بني واحداً واحداً من أولادي تنتابهم منايا الغيلةِ بأيدي الغدر..

وها أنذا لم أذق حلاوة النومِ، بُني وأنتَ تغادرَ المكان لأنتظر ساعةً المجيء وتبدأ المهمة..

فوا لهفي عليكَ متى أستمعُ صوتكَ مجلجلاً بين فلواتِ الدنيا لتقود المسيرة..

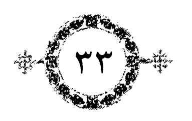
لكني يا بني أذكركَ بجدكَ القتيل أن يكون شعاركَ في كل حين «يا لثارات الحسين»..

وها أنت تستقلُ صهوةُ الجواد ليخرجَ ابن آكلة الاكباد مدججاً بالحقد ليعيد مشاهد السوء تنتابه سَوءةَ الانتقام..

ولعلكَ بُني ستعيدَ الجولةَ القادمةَ مع ذلك السفياني ليعيدَ هو تجربةَ النفاق..

وليتك حاضراً مشاهد الطفوفِ لترى ما فعلهُ أسلافهُ..

ها انتَ اذن تحضّر للمهمة لتكسوَ الدنيا أريجَ الأقحوان وشذى العطر الوردي..



أفيقي يا دنيا..

وجلجلي يا سماء..

إرعدي يا سحاب..

زلزلي يا ارضين..

فها هو يومكِ الموعودُ يقترب..

وها هي فاطمةُ أمُ أبيها تلوّحُ بالنصر..

أن قوموا أيها الأموات من رقدتكم و أزيلوا الترابَ عن وجوهكم..

وأنتم أيها الأحياء خذوا حذركم فإن عهد الله قد بدأ توّاً..

وها انذا أتقدمكم المسيرةَ ..

وها أنذا أعيدُ كلماتَ أبي من جديد..

بل ترتيلتهُ من جديد..

وها انتم أيها المقهورون فإنَّ لظى الذكريات تدفعكم في أخذ المبادرةِ..

والجولة لكم وهو غدكم أيها المحرومون..

أفيقي من رقدتكِ أيتها الأيامُ الحبالى بكلِ جديد..

فإن وجه الارضِ تغّير..

وأن للصبحِ إشراقةَ الأمل السعيد..

وها هي فاطمةُ تلملمُ اليومَ جراحاتها..

فإن غدها الموعودَ بالانتظار..

أنجزيه يا ام طه وياسين ويا أم البيناتِ والمحكماتِ في القرآنِ الحكيم..

هذه سُنةُ الله فيكِ أن تقودي المسيرةَ الى آخرِ المطافِ..

فإن أبناءكِ يمدونَ الطرفَ لاستقبالكِ وانتِ تنظرينَ بطرفٍ خفي إلى حشودِ شيعتكِ العابرة إليكِ لتعطيكِ عهد الولاء..

وها انتِ تمسحين رؤوسهم فإن المواجهة تعصفُ بكل الاشياء إلا شيعتكِ يستقلون متون الريحِ وقاصفاتِ السحابِ ليوصلوا الرسالةُ الى الأقاصي..

وها أنتِ تكفكفين دموعكِ البعيدة لتوصليها اخيراً بابتسامة الانتصار..